
الهيئة العامة لقصور الثقافة
مختارات
لم
أبنِ كَخوفو هرماً
محمد سليمان
مختارات شعرية

إهداء ٢٠١٤
الهيئة العامة لقصور الثقافة
جمهورية مصر العربية

محمد سليمان

لم أبن كخوفو هرماً

مختارات شعرية



• لم أبن كخوفو هرما
• محمد سليمان
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة 2013م
13,5 × 19,5 سم
• تصميم الغلاف:
أحمد فؤاد صالح
• رقم الإيداع: ٢٢٥٤٢/ ٢٠١٢
• الترقيم الدولى: 978-977-718-577-6
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالى: 116 شارع أمين سامى - قصر العينى
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت: 27947891 (داخلى: 180)

• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096



سلسلة شهرية تعنى بنشر مختارات أدبية
لأبرز الكتاب والشعراء المصريين

الآراء الواردة فى هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة بل تعبر عن رأى وتوجه المؤلف فى المقام الأول.

لم أبن كخوفو هرماً

فى البدء كان البحر

(١)

هل البحرُ حَوْضٌ كبيرٌ ،
تميل السماءُ عليه
ويرحل فيه السمكْ ؟
أم البحرُ حَدٌّ يَرُدُّ .. ويُغْرى
ويشطر أرضا
ليسرقَ من نخْلةٍ ظلَّها
ويُقّصى عن السودِ بيضاً ؟
سألت الرياحَ التى دَحْرجَتْ موجَهُ
والطيورَ التى حوله سافرتْ
وكتابَ الأغانى
ولم أنْتَظر كالمحقِّقِ رَدّاً
يؤكد أن البحورَ زنازينُ
والماءَ مُعْتَقلٌ ..

هل تموت المياهُ إذا لم تَطِرْ

أو تُسافر ؟

أنا لستُ بحراً

وإن كنتُ كالبحر أخْفى مَحارى

وكالبحرِ أركض في علبةٍ .

وفوق سريرى

وكالبحر أحلم بالقفْز من قفَصى

واحْتضان البرارى

فلا تَسْع خلفى

ولا تَحْفر الماءَ بحثاً عن الكائنات التى

تَتَشاجَرُ ..

أو تتحاور فى دَفْترى

أنا لستُ غَيرى

أكرِّرُ كيلا تُعدَّ الشَّبكْ

وكيلا تَدورَ بِرُمْحٍ هنا

أو هناكَ

وكيلا تقول رمى ثَوبَهُ

وشاخَتْ عصاهُ

فلاذ بحَوْض يسافر فيه الحصى

والكلامُ ..

و ظلٌّ قديمٌ لوجه الملكْ

هل ستقفز كالطيِّبينَ إلى زُرْقَةٍ

كى ترى صُوَرى

ودُخانى

وتَصْحَبَ بِنْتاً إلى سِرِّها

وغلاما إلى قمرٍ في الأغانى ؟

أم ستَصْعَدُ تلاً

وتنْتظر البحر يغفو كسجادةٍ

كى تَلُمَّ وتُحْصى ؟

رُبّما كان للبحر ظل كظلى

ربما كان مثلى .. كسولاً

وملتصقا بالجدارِ

ويعشق عدَّ البلاد التى لم يزرها

ليحلم حين ينام بها

ربما كان أيضا يواصِل صَبَّ الحكايات

قدّام مقهى

فقط ليصيدَ القطا

ببعض الكلامِ

وبالبعض يرسم للتائهين مصابيحَ
تَسْحبهم .. أو شطوطاً
هل البحر جَدٌّ لكل الغيومِ ؟
أم ابنٌ يُقايض بالملحِ ماءً
ليجرفَ حَدّاً
ويزهو بثوب المسافرِ
أو بهدير الخُطى ؟

(٢)

لكل بحرٍ شاطئ واحد

لكننا عادة نتَساهل

ونباهى بشواطئ عديدةٍ لم نَرَها

ربما

لأننا نكره المفاجآت

ونحلم دائما بنهايةٍ سعيدة .

(٣)

في البدء كان البحرْ

في البدء كان الموجُ غابةً

وكانت المياهُ ترْكب المياهَ

كي تعبئ الآتينَ والمغادرين والغرقى

بحكمة السّفَرْ

في البدء كان البحرُ واقفاً هنا

ونائما هناكْ

مسيَّجاً بأعين الغاوينَ والمغامرينَ

والحواةِ

والمفتشين عن حكايةٍ تليق بالغازى

أو جَنَّةٍ

لم يُعْطها الكتاب شارةً

ولم يُشِرْ إلى خمورها .. و حُورها الملاكُ

هل أنت غواصٌ

بحَرْبةٍ ..

وبَسْمةٍ مَنْسيّةٍ في الركنِ

تُزمِع الرحيل خلف رامحٍ ؟

أم أنت جنديٌّ

مُصَوّبٌ إليَّ .. رُبما

لأنني في قاعة الكلام لم أصر بحرا

يُطل منه الحوتُ أحياناً

وتقفز اللآلئ ؟

أم أنتِ ظلٌّ لي

تحاول الرحيل في الجهات كلِّها

لكي تصالح البعيدَ

أو تُفاوِضَ الموتى

ونافخي الأبواقِ والذين أسْرَفوا

ودثّروا بالماء نارهم

في البدء كان البحرُ

وكانت الأمواج سُلَّماً عليهِ

تهبط الملائكةُ

لكي تزيحَ جائعاً عن جُوعِهِ

بحربةٍ

أو بلطةٍ

أو شبكةٍ

فَغُضْ إذاً ودُرْ

وحطَّ وجهَك القديمَ فوق وجهِك الجديدِ

واسْتَعِنْ

بآية الرحيلِ أو بغابة الصُّوَرْ

وقُلْ يسافرُ الزمانُ والمكان في وجوهنا

وفيهما

غاوينَ أو غافينَ أو غرقى

نُواصِل السفرْ .

لم أبن كخوفو هرما

لم أبن كخوفو هرما

كى أتوارى فيه

ولم أهب امرأةً صَرْحاً

كسليمان لكى أسجنَها

سرت فقط كالنهرِ ..ودُرْتُ كريحٍ

ومنحت الغائبَ ظلاً

والغاوين جسورا

وأزحْتُ المداحين استغنوا بالأسماءِ

عن الأشياءِ ..

وعدّوا الماءَ سماءً

والثدىَ زجاجةَ لبنٍ

والعينين يدينِ

وقلت سأسجن بحراً في الكلماتِ

لكى يقصِدَنى الحوتُ

وأضرب بعضَ الماءِ ببعض الماءِ

لأشعل ناراً

وأواصلَ حرث امراءة نامتْ

في صرح منْ ورقٍ

لأذكرَها بمراياها

وأقولَ صباحك صدّاحٌ فى الورقِ

ونَخْلكُ تَغْفو الكرواناتُ عليهِ وتصْحو

لتُصَفّقَ قرب الفجرِ

وتقذفَ غواصينَ بباقات الموسيقي

هل أبدو هَرِماً

وقديماً مثل النيلِ

وكالقاهرةِ غريقا

ظلى يتدثّر بي

وفضائي لهبٌ ؟

* * *

لن أزعمَ أنى بالكلمات سأبنى صرحا

وأكهربُ ريحاً

لأضيء هنا

وهنا .. وهنا

وأُجَسِّدَ في الأسماءِ تفاصيل الأشياءِ و أزهو

بالشعراء اصطادوا بالكلمات الريحَ

وبالكلماتِ جنونَ الموج

وبالكلمات عفاريتَ الحاراتِ .

وبالكلمات بلاداً

ثم تواروا كطرابيش و لاذوا .

بدواليب الماضى

لن أزعمَ أنى في الميدان غداً

سأنَفُّضُ جَسَدى

لألمَّ جهاتى

وأزيحَ كلاماً شاخَ ولغةً وقَفَتْ

بين الماءِ وبينى

سأنفُّضُ في الأوراق هنا

لأعودَ جديدا

وبلا قفصٍ

وجديراً كالإعصار بحَرْثِ البحرِ

وزَحْزَحَةِ الأنهارِ

وكنْسِ شوارعَ فيها الرملُ ينام ويَصْحو

الليلُ هنا .. كالهمِّ رسا

والقلقُ غدا كابوساً

والشاشاتُ تَصُبّ وتَهْذى

وتُبدِّلُ صوراً وأناشيدَ

وتهب اللصَّ وشاحَ القاضى

والخَنّاسَ ملامحَ موسى

لن أزعمَ أنَّ الغيمةَ ظلٌ

والماءَ قميصى

لم تُمطِرْ فى هاتورَ لكى تَخْضَرَّ حروفٌ

ويُغَرِّدَ عشبٌ

ويعودَ المدّاحون إلى شارعنا

بطبولٍ تُغْوي ..

وتشدُّ من الغَيْبوبةِ ناساً

لم تمطرْ فى ابريلَ لكى أغْتَسِلَ

وأغْسلَ هذا النّخْلَ

وأَهَبَكَ وجهاً أجْمَلَ

أو أتَجَوَّلَ فى الغابات وأُحصى

وأحاوِلَ بحكايات الماءِ إزاحةَ

بعضِ حروق الصيفِ

وصدَّ الأصفر والبُنِّىِّ

ومَدَّ جسورٍ بين محارٍ يلهو

فى الأعماقِ وآخرَ

فى الأوراق توارى

وأقول العالم بحرٌ ..

يتَحاور فيه الواقفُ والذاهِب والآتى

والأيامُ رياحٌ .. وأعاصيرُ

تروحُ وتأتى

كى تهبَ الولدَ حصانَ الوالدَ

والقبطانَ قميصاً

يتقاعد فيه ويكتب كالمحمومِ قصائدَ

أحياناً أو قصصاً

ليُعاتِبَ غرقى

ويواسى سمكا يَسْبح فى المِقلاةِ

ويبحث في القاهرةِ

عن القاهرةِ

وفى الأيام عن الأيّام الأخرى

ويقول : غَفَونا

فانسرق فضاءٌ واحترقَتْ أرضْ

واندفع الأصفرُ مثل جرادٍ

والأبيض مثل مَرَضْ

وتوارت سفنٌ ومحاريثُ ونايٌ

وأصابعُ تَسْمَعُ أحيانا

ونَرى

هل ستُشَيِّدُ هَرَماً

كي تتقاعدَ فيه وتَغْدو

كالفرعونِ أسيراً ؟

هل أنت هنا ؟

صوتى ليس قطاراً

أنتظر رسائل تأتى ... لا أعرفُ من أينْ

لا أحدَ هناك يرانى

لا أحد هنا ينحاز إلىّ

لكنى خلف السور كميناء مهجورٍ

أنتظرُ وأرنو

وأغربل بالأذنين الريحَ وأُصغى

مثل وحيد القرنْ

هل ألمح صوتاً يضوى

ويُنّقر كالعصفور ليوقظ نخلاً ؟

أم أحتالُ ..

لكى أختصرَ البردَ قليلاً ؟

لا أعرف صوتكَ أو صورتكَ

ولا أتوقع أن يلمع صوتى

تحتِ أكاسيد البارودِ وبين حروب

كالسرطانات تَهُدُّ وتشوى

لكنى سأواصل ضخّ رسائلَ كالمعتادِ

إليكَ لعلك ذات صباحٍ

مثل وحيد القرن

بأذن متوهجةٍ ترنو

وتلوّح من نافذة

هل أنت هنا ؟

أم أنت هناكَ ؟

أظنك لا تعرفنى

وجهى لم يَطفُ على أوراق العُملة بعدُ

وصوتى ليس قطاراً

وأظنك سوف تحابى الأعمى

حين يثرثر عنى ..

أو يمنحنى رأس الذئبِ

وذيل الغولِ

وحين يؤكد أنى ألهو

بالأشياء وبالكلماتِ وأنى ....

هل تتحسس حين أمرُ سلاحك

أو تبديهِ

لكى أتذكر أن الواحدَ أعزل

والاثنين وعاءٌ للعائلةِ

تسافر أو تتشظى فيهِ

وأنى لستُ الجالسَ فوق العرش

بألفى وجهٍ

والحابسَ فى الكلمات الهدهدَ والجنىَّ

ومعنى المعنى

هل أنت هنا

تتوارى فى المرآة كظلٍ ؟

أم أنت هناك تضخ رسائل مثلى

وتصدُّ البردَ ورائحة البارودِ

وترسم كى تتسلى فيلاً

وتسميه الشارع

أو إعصاراً وتسميه ينايرَ

ثم تسافر فى الذاكرةِ

لكى تلتف كحنشٍ حول امرأةٍ

لم تمنحك مفاتيح القاراتِ

ولم تدخلكَ الجنةَ

لك أن تحكى عن ميتتك الأولى

لك أن تشتمَ من جرحتكَ ومن نسِيتكَ

ومن تركتك على أرصفة الشارع ظلاً

لك أن تصرخ لا

لتفاجىء نهراً حسبك أخرسَ

أو ميداناً ظنك أحدَ القتلى

لك أن تصبح بطلاً

وترصّ هواء خلفك كى تتظاهر ضدى

صوتى هرِمٌ مثل بلادى

واسمى يشبه صفّ مآذنَ

وأناشيدى

قد لا تغويك ولا ترضيكَ

ولا تدعوك الى مائدتى

لكنى لست الحوت ابتلعَ

ولا الإعصار أزاحَ

ولا الجندىّ ارتجل القتلَ

ولست كتابَ الموتى

ماذا لو واربت الباب قليلاً

أكتب لأحييكَ

وأكتب كى أنسلَّ من الزنزانةِ

ماذا تفعل

حين يصير الشارع خطاً

والناس نقاطاً

والأبوابُ فواصِلَ

والأبراج علامات استفهامٍ

والصحراءُ هواء أصفرَ يحبو

أو يتمطى ؟

ماذا تفعل

حين يصير الخوف محيطاً

والقلق محطّاً

والكذابون لآلئ تلمع فوق التلِّ

وأنواطاً وخطوطاً

والجنديُّ يداً تعصرك وتستصغركَ

وترسم فيلك قطاً ؟

ماذا تفعل

حين يهب عليك من الشاشات العالمُ

كل صباحٍ جهماً

أو منحطاً

ليحُط امامك تلاً

من لحم وحديدٍ

وجذوعٍ كانت قبل دقائق نخلاً

يعدو .. مختالاً ونشيطاً ؟

ماذا تفعل

حين تجاهد كى تتذكر صوت امرأةٍ

أو عينيها

أو لغة يديها

فتصيد فقط جَوربَها

ودبابيس الشَعرِ

ومشطاً

هل ستفتش مثلى فى داخلك

عن الحشراتِ

وهل ستقارن يدك بنهرٍ ؟

لغـة

أبحث عن لغةٍ صارمة وجديدة

أبحث عن لغةٍ لا تركض فيها الفوضى

وأعاصير الماضى

هل تعرف أن اللغة تقول وتخفى

وتسميك الآخر

كى أخشاكَ

وكى أرتاب كثيراً حين تُطلُّ

وكى ترتاب إذا حَييتكَ

أو أدخلتك أبراجى وكهوفى ؟

أتمنى

أن أكتبَ بالأرقام قصيدة .

كغريبين معاً

من أنت ؟

وجهك لم يُشرق بعدُ

وصوتك فى داخلك كذُبٍ يغفو

هل ستظل هلاماً فى الذاكرةِ

يغوص ويطفو ؟

أم ستهُب غداً من ورقٍ

يتناثر حولى

مثل طيور نفقت ؟

لست عدواً لكَ

لتفتش عن مدفعكَ

ولستُ النارَ ولا الاعصارَ

لكى تتوارى ...

وتخبىء نخلكَ

ماذا لو أجلتَ قليلاً سحْب سلاحِكَ

أو إعلانَ الحربِ

وماذا لو ألجمتَ أصابع مثل ذئابٍ

تعْوى

وفتحت لقمر باباً أو شبّاكاً

لك مثلى عينان

لك أنف وفم

لك أذنان وصفان من الأسنانِ

وذقنٌ ولسانٌ

وأظنك تهوى القهوة والموسيقى

وتغنى وحدكَ أحياناً فى الليلِ

لكى تتذكرَ صوتك مثلى

أو تُبعدَ غولاً

وأظنك تصعد جبلاً

أو تمشى فوق الحَبلِ

لكى تصطادَ لطفل يلهو

فى الأعماق هلالاً

وأظنك تعشق شاى المقهى

وتدارى فى الذاكرةِ امرأةً

تلمع كاللؤلؤةِ

ولا تغتاب الرسامين على أرصفةٍ

يشتعلونَ

ويحتضنون وجوهاً لا أفواه لها

وأظنك تعرف أنّ الحربَ ستلد الحربَ

وأنّ الموتَ وباءً

ماذا لو فكرتَ قليلاً

وطرحتَ على الأفيال سؤالاً بعد سؤالٍ

تعْدو فوق العشبِ

وتقتلع الأشجارَ

وماذا لو ثرثرنا كغريبين معاً

فى الغربة يَنجرف الإنسانُ الى الإنسانِ

تكلمْ ...

فى فمك لسانٌ

ولديك دَمٌ وفضاءٌ واسمٌ

وفتاةٌ فى الذاكرة تنام كبحرٍ

صوت فتاتى فى أذنىَّ

ووجه فتاتى فى مرآتى

أذن فتاتى أصغر من أذن الفنجانِ

وكعب فتاتى

أشهى من تفاح الشامِ

وثوب فتاتى يفضح نور الجَسَدِ

وآيات البركانِ

فتاتى ظلت فى العِشرينَ برغم الحربِ

وصُور الجنرالاتِ

نوَيتُ كتابةَ عشر قصائدَ

لأصابعها .

نعمة الغياب

فى المدن التى

تلتفّ بالدخان والضجيج والترابْ

فى المدن التى

لا تحتفى بالريح أو بالنهرْ

فى المدن التى

تباغِت الحقول فى الظلامِ

والطيورَ والشجرْ

فى المدن التى

ينام فيها الناسُ أحياناً

أمام شاشة

أو فوق مَقعدٍ

أو تحت جسرٌ

فى المدن التى

تقدّس الحيطانَ والأقفالَ والأبوابْ

ندور كالأسْرى

مُعبئين بالصوَرْ

ومُحْتمين كالأشباح دائماً

بنعْمة الغياب

لك أن تخشى

صوتكَ لا يجتاز فمَكَ

صوتك لا يَخْبو

ليهز هواء الغرفة

أخشى

أن يلتف الصمتُ علينا

ليُحِل دمى ودمكَ

هل أنت غريبٌ ؟

أم أميٌّ ...

لك لغة أخرى

وفضاء ترشق رأسك فيه وتعدو

خلف هواجس وأساطير ودورٍ ؟

لك أن تخشى

لا ينمو الا الرملُ هنا

والكذبُ ...

ولا يتشبثُ بالحيطان سوى الديدانِ

وصور الباشا

لك أن تتحسسَ ماء النهرِ

وأرصفة الميدانِ

وقطط المشى

فى الغربة لا أقمارَ لنا

فى الغربةِ يعلو الشكُ

وتختلط الأشياءُ

ويخبو العالم فى داخلنا

فنرى النخلَ عدواً

والسُحبَ وحوشاً

ماذا لو نَحّيت الخوف قليلا

وأزحتَ سلاحَكَ

جَيّبى خالٍ

ويداى على الطاولة

وليس لدىّ سوى ذاكرةٍ واسمٍ

وفتاةٍ فى الخمسين تغنى

هل هجرتك فتاتك ؟

أم تبعتك إلى الصحراء لكى تتحرر منكَ

وكى تتحررَ منها ؟

ماذا لو خربتَ سلاحك أو ألقيت بهِ

وجلستَ كرجلٍ أعزلَ مثلى

وتحدثت بلغة العادِيينَ

أظن الماءَ سيصبح أصفى

وينايرَ أدْفأ

والوحشىَّ أليفاً

هل تعرف أنّ سلاحاً يُحمَلُ أو يُستفتى

لا يعنى إلا المنْفى ؟

اغتراب

هل الغريب نَسيبٌ للغريبِ حقاً ؟
أم الغربة أرضٌ
لا ينمو سوى الشوكِ فيها ؟

الصيفُ ثقيلٌ

هل ستجوب العالم فى الأحلام معى
لتحط الأحمرَ فوق الأخضرِ
والبُنىَّ على الفِضىٌ
ونُطفَ الماضى
فى دائرة الآتى ؟
أم ستلوّن كالشرطىٌ كلامى
وتبدل صوتى
وتحط اسمى حين تشاءُ
على بَرّادٍ
أو مِدفئةٍ ؟
لك ان تقف امامى
فى المرآةِ

وأن تتجول فى ذاكرتى

لترى الموجَ سلالمَ تعدو الريحُ عليها

وقطار الليل يُصفِرُ فى الأعماقِ

لكى تبتعد عن القضبان غيومٌ

والصيفَ يخزن فى الدولاب دُخاناً

ويسوق المهزومين لكى ينتصروا

فى الأسواقِ

وفى الطرقاتِ

وفوق وسائدَ لا ألوانَ لها

هل ستحاول مثلى شدَّ طيورٍ

من عُزلتها ؟

أو دغدغة الغيمة كى تنحلَّ

وتغسل مدناً ؟

أم ستسير ورائى

لتشاهد مغمورين بنعم الظلمةِ

كالأسرار استتروا

وبلادا وقفتْ

وارتطمت بالتاريخِ

وصيادين اتخذوا الشارع بحراً

والناس محاراً ...

الصيفُ ثقيلٌ

والدباباتُ من الشاشاتِ

تصب النار علينا

وأنا لست كنابليونَ قصيراً

أو أعْرَجَ مثل الخان

لكى أجتاحَ واعلو

وأفوز بلقب الغازى

وبكرسىٍّ أعلى فوق رصيف المقهى

هل أنت قصيرٌ

وبصوتٍ ترقص فيه النارُ

وتبحث عن قاعدة فى الميدانِ

لتقف عليها ؟

أوراق شخصيّة

لن أُطيلَ عليك

لم يَعُد مايو لطيفاً مثل عصفورٍ
و لا إبريل مأوى للمحبينَ
و لا مارس حداً بين ضِدين
و لا يونيو حليماً
لم يَعُد يوليو سخياً
مثل َعيد الفطرِ
يعطي الناس أجنحةً
و يدفعهم إلى الطيرانِ
كنا
في صباحٍ جامحٍ
نأتي
من الأطراف كي نغزو

و كنا

تحت قَوس النصرِ

نَعلو فجأةً

و نعود أكْبَرَ للقُرى

كنا...

و يوليو كان في أيامنا الأولى

أباً للعامِ

مقتدراً

و شهراً ممطراً

* * *

لم تكن مثلي تُغني الريحُ

أو مثلي يطير الصقرُ

أو مثلي يدور النهرُ في الوادي

تغيّرنا . .

تَغَيّرنا

كبرتُ أنا

كبرتُ. .

و كرّت الأيامُ كالأرْقامِ

و اختلفتْ بلادي

أصبَحَتْ

مُجرّد حفرةٍ في الأرض أحياناً

وكلّ الأرض أحياناً

و أحيانا دُخاناً

لن أُطيلَ عليك

مارس لم يعد حُلواً

و مايو لم يَعُد مُستودعا

لخرائطِ الحصّادِ

أو بالحَبِ مَحشواً

و يونيو

أنت تعرفهُ.

هواجس

أخْشى أن يقفَ النيلُ بعيداً
في الصحراءِ
لكي يتبخرْ
أخشى أن يتجه جنوباً
أو شرقاً
أو غرباً
أو يعدو خلف أمرأةٍ تتلونُ في الغاباتِ
و تزهو بأنوثتِها
النيلُ . . ذكرٌ
و النيل يحب الرقصَ
و يهوى الأحمرَ و الورديَّ

و مصرُ عجوزٌ...

تتوضأ بالأمواجِ فقط

و تصلي . .

و تثرثرُ في الساحاتِ عن العفريتِ

و عن جنيٍّ يحرس باب القصرِ

و عن أشباح حول الدور تدورُ

و عن أهوال القبرْ

أخشى أن يثبَ النيلُ علينا

قرب الفجْر

لكي يغرقنا

و يحرر أرضاً عامت فيه

و جاء بها

لتصير ملاذاً للألوانِ

و مأوى لعصافير تُغني

حين يَفُضُّ ...

و حين يفيضُ

و حين يُعلق فاكهةً في الشجرِ

و حين يبعثر سمكا في المقلاةِ

و حين يفجر جسد البنتِ

و صوت الولدَ

و حين يكِرُّ . . كمهرٌ

أخشى أن يتجه النيلُ شمالاً

ذات مساءٍ

دون جواز سفرْ .

النيل ذكيٌ

و قويٌّ كالاعصارِ

و لا يحترم الأسرى

و المُنتظرين على الأرصِفَةِ

و من يشكونَ

و من يبكونَ

و من كظلالٍ ينحدرونَ

و من يَتلون كتاب الموتى

و يلوذون بجُحرٍ أو بحَجَرْ

و النيلُ يحب القوّامين المنطلقينَ

و من بيديه يصُدُّ

و من يَحتدُّ

و من يَمتدُّ

و من يجتازُ الحدَّ

و مَن بالماء يحاصِرُ صحراوات الروحِ

و يعرف أنّ الحُبَّ سفرٌ

أخشى أن نصّحو يوماً

لنرى الطين فقط

في المَجّرى . . .

و النيلَ انسَلَّ كفهدٍ

في الظلماتِ و فَرّ .

يسْتحق وساماً

الوحيد الذي لم يسر خلف غيري

و لم تغوه امرأةٌ أو حصانٌ

و طاولةٌ تستريح النجوم عليها

الوحيد الذي لم يَخُنّ

و لم يمنح الذئبَ ميعاد نومي

و لم يعان الحرب يوما عليّ

و لم يضع النار تحت سريري

الوحيد الذي ظلّ لي صاحِباً

و الذي تاه في مدن الآخرين معي

و الذي عندما سِرتُ سارَ

وحين استدرتُ استدارَ

وحين حَبَوْتُ حبا

يَستحق وساماً

وعشر قصائدَ مغسولةً

بالهديلِ

ونخباً

تمارين

لأن القصائد ليستْ شموعاً
لأن الهواءَ الهواءَ اختفى
لأن الخرائب في اللحم تسعى
لأن البنادق لا تنتخبْ
لأن الخرافَ تُصدق أن الذئابَ
عن اللحمِ تابتْ
وصارت نباتيةً كالأرانب
لأن الهزائم صارت وجوهاً لنا
لأن التلاميذ شاخوا
ولم يصبحوا سفناً أو نجوماً
لأن الطغاة يعيشون فينا
لأن السماء نأتْ

و العمى صار ديناً
لأنا نَعُدّ الحصى ذهباً
و الزجاج لآلئَ
و البحر بقعة حبرٍ
و الصقور ذباباً
لأني هنا
سأريح على الأرض رأسي
و أترك نملاً صغيراً يحاول
جَرَّ يدي
و سِربَ ذبابٍ يَحُطُّ
و بعض الغبارِ
و أنسى شوارع تتساب تحتي
و أنسى الفتاة التي ذات صيف شَوَّتْ
و التي لم تزل في الخريف تَهُبُّ
و أنسى الحروب التي كالطحالب تنمو

على أسطح الدورِ

أو في الدماءِ

وأنسى التماثيل فازت بكل الهواءِ

وأنسى عجائز يستحلبون أساطيرهم

ويحشون أيامهم بالهُراءِ

وأنسى خطوط يدي

ونشيدَ بلادي

وصفاً من النخّل كان معي

في الصباحات يَغْدو

إلى باب مَدْرَستي

وأنسى قصائد لم تكتملْ

وأخرى تُلَوّحُ كالبرقِ خلف الغيومِ

وأنسى كفافي

و إليوتْ

و المتنبي

و عبد الصبورِ

و أنسى المعري

و رامبو و جاهينَ و الأحمدينِ

حجازي و شوقي

و أنسى . .

و أنسى و أنسى . . .

هكذا

أتَمَرّنُ كلَّ صباحٍ

على الموتِ

في غرفتي .

لم تَعُد تذكرني

مليحٌ لم تزل في مكانها

تجتر مثل بقرةٍ

ولم تزل تلون الهواء بالروائح التي

تهبُّ من جهاتها

ولم تزل تَقُصُّ عن أولادها الذين سافروا

كي يصبحوا ملوكاً

ولم تزلْ تلُفّ رأسَها بغيمةٍ

وتمدح الأنهارَ و الطيورَ

و المراكبَ المسافرةْ

* * *

مليحٌ لم تعد تذكرني

أنا الذي في أول الصبا

أُرسِلْتُ

مثل جرَّةٍ في الباصِ

كي أحتلَّ شارع التحريرِ

و الميدانَ

و الأبراج و الأوبرا

و كي أعود كالملوك غانماً و سالماً

و آسراً بحوراً

مليح أسْقَطَتْ من عينها ملامحي

و من كتابها ظِلالي

لأنني أزورها مازلتُ

في الشتاءِ راجلاً

و في الربيع خاوي اليدينِ

لا الميدانُ في جيبي

ولا عصا المُعِزِّ

أو محفظة الوالي

خذلتها ..

خذلتها

وصرتُ شاعراً سماؤه الكلامُ

لم أصر أميراً

ظلاله تُجَمّد الفهودَ في الغاباتِ

والصقورَ في الأعالي .

المُحارِب

لم تأت الحرب كما توقعتُها

و كما جاءت مرةً بعد أخرى

لأحقق انتصارا فذاً

و أفوز بالغنائم

أنا أمهر اللاعبينَ بالعصا

و أعظم المحاربين في هذه النواحي

الجماجم التي عَجَنتها لا تُحصى

و العيون التي لم تَعُد عيوناً

و الأصابع التي تفككتْ و اعوجّتْ

لكنهم أتوا بالبنادق هذه المرّة

و بالمدافع التي لم أرَها

و لم يُشر إليها قارئ الكتابِ

و لا شاعر الربابة

و بالطائرات التي دَمرَتْ

و أحرقتْ عصاي

قال جدي الأكبر

و مسح عينيه بِكُمِّ جلبابهِ .

لم أجْر مثل النهر

لم أجْر مثل النهرْ
لم أمنح الكلام قُبة
ولا الشذى لوناً
لم أكتبِ القصيدة التي وراءها أدورُ
والتي أُدرب العينين واليدينِ
كي أمسكها
لم أسبق الصفيرَ عندما في الليلِ
مزق الهواء فجأة
ولم أضَع قصائدي على سطوح الدورِ
كي تطير كالغيوم أحياناً
لم أجعل الصحراء بستاناً
ولم أحرر الطيور من أقفاصها التي

رَسَمْتُها بالحِبرِ في دفاتري

و بالدخان في نهاية المَمَرّ

لم أبن للتي عشقتها صرحاً

و لم أصِر ريحاً

تزحزح المدينة التي

لا تُذْكر الذين في أحشائها مروا

و لا الذين في أطرافها نسوا ظلالهم

و لا الذين أدمنوا سرابَها

و لا الذين هاجروا بها

و لا الذين في القلوبِ بعثروا وجوهها

و علقوا الصورْ

هل أستطيع السير مُمطراً

كغيمةٍ ؟

أو الجلوسَ في المقهى

و صبَّ قصصٍ عن سارقي النيرانِ

و الخُلاسِيّينَ

و الذين كالظلام وَسْوَسوا

و قدّسوا الحجرْ ؟

أم أستطيع بالنشيد شد نجمةٍ

من جُحرها العالي

و نصبَ قوس النصرْ ؟

ورقي أصفر

لم أقل النيل سيركض خَلفي

و السمك سيقفز منه

ليرقدِ فوق رغيفي

حين أُعِد مظاهرةً في الركنِ

و أهتف ضد الفقرِ

و ضد القهّرِ

و ضِد الماءِ الغافي

لم أَقل الريحُ ستصبح ثوباً لي

و الشجر سيَصحو

ليضُخ الأوكسجينَ و يرقصَ حولي

حين ألوّح بالراياتِ

و حين أدسُّ مَعاوِلَ في الكلماتِ

و أعلن حرباً

ضِدّ منازل باتَتْ كالأضرحَةِ

و ناسٍ لاذوا بأساطير الوالي

لم أقل الثورة سوف تَهُب غدا

من ورقي

لتمُد ظلالي

و تُثبِّتَ صوري في أقوال الحكائينَ

و فوق النخل العالي

ورقي أصفرُ

ورقي أبيضُ

ورقي لا يَعرِفه الصرّافونَ

و لا يحمله العابرُ قربَ القلبِ

و لا روادُ المقهى

هل أنت صبيٌّ

تبحث عن شيكاجو في بيروتَ

و عن باريس هنا

و تُصلي . . كي يأخذك البحر بعيداً ؟

أم ودَعت صباك و صرت وقوراً مثلي

تتظاهرُ

حين تزيح الريحُ عصا الشرطيِّ

وراء البيت وحيدا ؟

لم أقل النخلُ سيحرس بابي

و الموجُ سيعلو

حين أصيح و أهتفُ

أو يزهو بي

شختُ . .

و صرت ككل المهزومين حكيماً

و حليماً مثل الظلِ

و لا أُشبِهني !!

في الستين يصير الشاعر أجملَ

أعني أهْدأ

أعني أقرب للسبعينَ

و يعرف أن العالم أكبرُ من عينيهِ

و أن القلب صغيرٌ

و الثورة ليست ناراً عابرةً للبحرِ

و لا فاكهةً مستوردةً

و يخطط كيلا يصبح بوقاً

أو حبلاً أو طبلاً

و يخطط كيلا تقفز من عينيه الصورُ

و من أذنيه قواميسُ الموسيقى

و يصادق أُكَرَ البابِ

و قطط المقهى

و فوانيس البارِ

و ناساً لا أسماء لهم .

دفاتر الغبار

(١)

الغبارُ الغبارْ
ما الذى يحترق ؟
وما الذى حولى ؟
أو داخلى ينهارْ ؟

***

الغبار الذى يتجوّل كالغول حول المدينةْ
والذى كالحرير يحطّ هنا
والذى يكره الماءَ والصاعدين إليهِ
ومن يحتفون بأعياد رأس السنةْ
الغبار الذى لن ترى تغير لونِهْ

والذى كالطيور يطيرُ

وكالموج يمشى

والذى يحسب النيل شالاً لهُ

او جواربَ يدفن رجليه فيها

والذى قد يُرى كالجواميسِ منطلقاً

فى الشوارعِ

أو هائماً فى المماشى

الغبار الذى لا يُحَدّ

والذى لا يمجدُ غير الكلابِ

ولا يطمئن سوى للذئابِ

ولا يحتفى مثلنا بالخميسِ

لكى يستريحَ

ولا بالأحدّ

الغبار الذى فى الصباح يهبُّ

وفى الليل يأتى

والذى دون إذنٍ

يمد الأصابع والرأس والقدمينِ

ليحتل بيتى

الغبار الذى فى الجرائدِ

والمهرجاناتِ

أو فى الكتبْ

والذى كالوباءِ تمطى

وسد وغطى

والذى يتراكم تحت الجفونِ

وحول اللسانِ

وفى الحنجرة

الغبار الذى يتدحرج من شاشةٍ

فى المساءِ ليصفعنا

بألقابه ...

أو بنَوّط الجدارة

والذى يمنح الكلمات مذاق الحصى

ويسوق إلى الجحر أرنبةَ

والدجاجَ إلى مديةٍ

أو حظيرة

الغبار الذى صار حين غفونا

نائباً للملكْ

والذى

سيعد تماثيل للرابحين هنا

وللسعداء

وللبحر يضحكْ

الغبار الذى هدَّنا

والذى كدَّس اليأس فينا

الغبار الظلام الغبارْ الحطام الغبار الكلامُ

كأن الحناجر صارت محاجرَ

والناس دوراً هوتْ

ألهذا تشيخ شوارعنا وتموت الأغانى ؟

(٢)

لم تعد تشدنى الشوارع التى شخت فيها

ولا مرايا المقاهى

ألأن الشوارع محشوة بالغبارِ

والمرايا تستحيل حوائطَ

كلما اقتربت منها ؟

الغبار الغبار من أين يأتى ؟

هل هو الزفيرُ يصّاعد من رئات التماثيلِ

والموتى ؟

أمة من التماثيل هنا

أمة تتنفس القديم وتستنسخ الماضى

أم هو الظلام يحتفى بالظلامِ

والأرض بالعائدين اليها ؟

(٣)

لم يأت من هناكْ

لا الموج ساقه الى عيوننا

ولا خيول الخانِ

أو مكانس الملاكْ

لم يأت فى السفنْ

معلباً كالزيت والزيتونِ

أو مهرباً .. كالريح والفوضى

لكى يداهم الحقول أو يباغت المدنْ

لم يأت من روما ومن برلينْ

ولم تقع على بيوتنا أبراج شيكاجو

وسور الصينْ

كان هنا فى دفتر الصحراءْ

منتظراً مراوح الرياح كى يطير هكذا
مغلِفاً وجارفاً
كأنه الوباء

***

هل كان فى داخلنا وحولنا يغفو
كالسلِّ والجُذامِ
والجنون والحمى ؟
أطرافنا تآكلتْ
وبعضنا بالنار كالفراش لاذ واحتمى
أم كان كالتاريخ فى الكهوفِ أو
على الرفوف نائماً ؟
أم هبَّ من أضرحةٍ تدثرتْ
بالصمت والصبارِ
أم هو العمى

تخفى به الصحراء ضعفها وخوفها

وفقرَها الذى كالجرح فى جهاتها نما ؟

رأيتهُ

يطل من فم الجندى مرةً

ومرة يلف مثل غيمةٍ جارى

رأيته .. ينسلُ من محافظ الآباء

كى يهدِّم الكبارى

رأيته كالعصف مرةً يُعرى

ومرةً يوارِى

رأيته هنا

فى سرة الميدان راكباً حصاناً

رأيته هناك فوق القصر جاثماً

وممسكاً لجاماً

رأيته يدور فى الكتاب ساحقاً وجهاً
وماحقاً كلاماً
رأيته يعلو
لكى يصير علماً
يظلل الخاوينَ والحطامَ
والذين أدمنوا الجلوس فى الماضى
من الذى أعطاه شارة القاضى
وراية المدينة ؟
من الذى هشّ لهُ .. وشالَهُ
من ظلمة تليق باللصوص كى يمنحهُ
عباءة السلطانِ
أو قلادة السلطانة ؟

(٤)

هل الغبار بداية أم نهاية ؟

وهل نحن أمة تعشق الغبارَ

وتكره المرايا ؟

هكذا تتدافع الجهات فى غرفةٍ

باتساع الرأس

وتتوالد الأسئلة كأنها البكتيريا

×××

الشيخ هنا

والجندى هناكَ

هل قلت غُبارَينِ أرى

وسحبت إلى غرفتك النهرَ

ونخل الشارعِ

والميدانَ

وأغلقت الشباكَ ؟

أم هادنت الشيخَ

وسالمت الجندىَّ

وقلت زمانى لا يسعفنى

ويدى ورقٌ

والشيطان يدور الآن بوجه ولىٍ

وبثوب ملاكٍ ؟

* * *

هل أنت وديع مثل نجيل المشى

ومطيع كالجندى وظل الباشا ؟

أعنى لا تعرف إلا

هشّ وبشّ وغشّ وماشى

وتطل من الشاشات لكى تتشبث بالعينين كرمدٍ

وتُحَيى فى الميدانِ تماثيل السلطانِ

وتعلن أن الباب العالى بابٌ للفردوسِ

وأن الجالس فوق العرش يدٌ للربٌ

يدُكّ بها

ويدس لآلىء فى أفواه المختارينَ وسمكاً

وترى نفسك فى المرآة ملاكاً

وبلادك بنكاً

والناس حشائش تسعى فى الطرقاتِ وقشاً

أم أنت الشاعر تسهر

كى تصطاد فراشاً

أو تلهو بالشينات وتشدو

مثل الأعشى

كى تبعد موتاً

وغُبارِيين انتشروا كالفيروساتِ

وخاطوا بالشفتين الصمتَ

وبالعينين عصا الشرطىِّ

وبالذاكرة وحوشاً ؟

أم أنت الحجر يدور هنا

ليشد بناة الأهراماتِ

ويغوى ملكاً يبحث عن مقبرةٍ ؟

(٥)

لم أنتخبْ هذا الغبارْ

قلت لهم لم أنتخبهْ

لم أعطه ابتسامتى

ولا نجوم علمى

ولم أصر صديقه وصاحبهْ

قلت لهم .. لم أمش فى مواكبهْ

ولم أضع على الذراع رسمَهُ

أو اسمهُ

ولم أقل صار الغبار سيداً

فمجدوا أسودَهُ

ولاعبوا كلابهْ

قلت لهم .. حاربتهُ

بالقلبِ

والعينينِ واللسانِ

واليد القصيرةْ

ولم أزل أحاول اعتقالهُ

وقتلهُ ..

ولم أزل أساومُ الرياح كى تأخذهُ

والسيل كى يذيبه

***

قلت لهم لا أصدقاءَ لهْ

سوى الجنودِ

واللصوصِ

والمُزيفينَ

واللحى الطويلةْ

قلت لهم لا يشبه الذين جاهدوا

ولا الذين شيدوا

ولا الذين احتضنوا السماء مرةً

وكلموا السحابة

قلت لهم لا تنحنوا لهُ

ولا تبوسوا الأرض تحت رجلهِ

ولا تحطوا فوق رأسهِ

عمامة الوالى

أو شارة المهابةْ

هو الغبار لم يزلْ

هو الغبارُ ..

صيحة الهاوى

وراية الأشباح والموتى

وآخر الكتابة .

كتاب الرمل

(١)

كيف لرجل واحد مثلى أن يصيحَ محتجاً
يكتب قصيدة على هيئة البرجِ ؟
أم يطحن الهواء ؟
كيف يواجه الحجاجَ والباشا وجنكيز خانَ
الوحيد لغمٌ لن يفلت اللحظةَ
الوحيدُ أخرق روما وحالف الدخانَ
الوحيد .. ليس دائماً وحيداً

سأتمهل قليلاً
وأقول ظل السمك وغابت الإمبراطورياتُ
العفن عابرٌ ..
والعجائز علب مسكونةٌ بالبياضِ
الأبيض هل يساوى الموتَ ؟

أم يفضح الحليبَ

سأتمهل قليلاً

وأقول التاريخ ذيلٌ هائلٌ يُعَثِرنا

شِخْنَا..

ولم نعد. قادرين على السيرِ

والسماء لم تعد ترانا

أظننا بحاجة إلى هواءٍ آخر

دمنا أصفر..

دمنا يكره الحوار ويحالف الغبارَ

دمنا مستودعٌ للسمع والطاعةِ

هل السمع يستوجب الطاعةَ ؟

دمنا بلون الرمل وروائح الجبالِ

هل تركض الجمال فيهِ

وتخطط الرياحُ ؟

دمنا لم يزل قديماً

سأتمهل قليلاً

وأقول عواصم الرمل تشبه الرملَ

وعواصم الماء تشبه الماءَ

ليس صحيحاً

أن السفن تشبه الجِمالَ

والسمك يشبه السحالى

* * *

لن أفكر بالذين مضوا

ولن أحصى الملوك انتخبتهم البنادقُ

ولا الجنودَ لا يعرفون إلا القتلَ

شاخوا

وظلوا يَعُدون كل واقفٍ هدفاً

وكل خائف حليفاً

(٢)

أنا الذى فى أول الصبا

هللت للجندىّ

أنا الذى أعطيته مائى

وسترتى

ولقمتى

حسبته معى

قميصهُ ثوبى

وصوته ذراعى

أنا الذى صفّقتُ عندما خطا

وعندما تمطى

وخبأ النجومَ فى جيوبهِ

وعندما على الهواء كلهِ

كماردٍ سطا

وعندما

وعندما

وعندما

حتى ارتدى عباءة الوالى

وسترة الولىّ

أنا الذى غفوتُ حين جرجر الصحراءَ

من خريطةٍ

الى شوارع المدينةَ

كى يعلنَ الحربَ هنا

على الجسورِ مرةً

ومرةً علىّ

(٣)

من حقى أن أخاصم ظلى
وأن أطهر الماضى
ظلى يشبه الجنودَ والماضى مخزنٌ للأكاذيبِ
هل ترى القنافذَ والذين سلّطنوا الخوفَ
والباطنيين يسيرون على أربعٍ
لكى يظلوا قططاً ؟
أم ترى الكلامَ ذائباً فى الكلامِ
والغباريين يواصلون الشدوَ
وكتابة الاغانى ؟

أنت لا تشبهنى

أعنى لا تعشق النارَ ولا توقِّرُ السبائكَ

الجسدُ منجمٌ

والماء ليس نقياً ولا الهواءُ

هلى ترى الحديدَ طافياً على أوجه الجنودِ

والزئبق فى تودد اللصوصِ

والذهبَ فى شهقةِ الأنثى ؟

سأتمهل قليلاً

وأقول الجنود يتناسلونَ

والهمودُ آية الحجرِ والحجرُ لا يخطو

وحجران يغلقان البابَ

البعض سيبارك الهمودَ ويزهو

بحضارة الحوائطِ

كيف لرجلٍ واحدٍ مثلى أن يصبح محتجاً ؟

الورق أصفرُ

والأقلام لا تشبه الصواريخَ

واللغة منحازة للجنودِ

وروما كقطةٍ شاختْ

والبرابرة عسكروا فى الفنادقِ وأدمنوا النعاسَ

أعنى تسلحوا بالأغانى

وأصبحوا زجاجاً

سأتمهل قليلاً

وأفكر بحروف تنام فى الكتبِ

وأخرى تفضل البيوتَ

سأخطو...

وأقول الزمن بحرٌ

والعجائز لا يشبهون السفنَ

ولا وطنَ للعاطلِ

هل القتل مهنةٌ ؟

(٤)

حتى الآنْ

مازال علىٌّ ومعاويةُ

وراء المسجد يقتتلانْ

حتى الآنْ

مازال الأصفر يعدو خلف الأخضرْ

والأزرق لا أقدام لهُ

والأسود مثل الليل يحطٌّ

ويبتلع الألوانْ

لا تسألنى عن تاريخ النزف إذاً

أو عن بشرٍ

ينتظرون الموت لكى ينتبهوا

أو عن كرسيٍ

يتحالف كى ينفرد به السلطانُ

مع الشيطانْ .

البراري

(١)

أستطيع الآن أن أمسكَ هذا الصقر
أستطيع فى الفِراش أن أمشى
من قارة لقارة
وأستطيع أن أظلَّ هامِداً فى الركنِ كالدولابِ
أستطيع أن أشُمَّ فى الظلام عُرْوَةً مُبْتَلةً
وأن أشد مُهرةً من ذيلها الطويل
إنه الشتاءُ .. صاحبى الذى يزورنى
فى العامِ مرةً
كى يَغْسلَ النوافذَ التى لا أستطيع والذى
مُبكراً أتى
لأننى اشتريت معْطفين
سوف أصحب الأشباحَ فى الضُحى

لنُزهةٍ وراء هذا التلّ
فارغٌ رأسى
لكننى فى الريح أستطيع أن أواجه الذينَ
والذينَ
فارغٌ ....
لكن جيرانى سيقعدون فى جحورهم
ويتركون لى مدينةً مَخْتومةً كعُلْبة السرْدينِ
فارغٌ ...
لكننى سأشتم التى من حربتى تَحَرَّرتْ
وانطلقت دون اغتسالٍ كى تلُمَّ الثلجَ
أستطيع الآن أن أفرَّ من جوليا
لأنها كالبومةِ العمياء لا ترى فَرْقاً
بين دم والطينِ
أستطيع أستطيع أستطيعُ
ورقى حولى
ولم يعُدْ هناك حاجزٌ بينى وبين اللحم

(٢)

صعبٌ ذلك الخلاءُ وصعب حَكٌّ دم بآخر
هل أقول السفرُ قطعةٌ من العذابٍ وأقعدُ
كالرصيف مكتفياً بتأمل الأقدام ... عبروا
وسيعبرون الذين حالفوا أنفسَهم
واستأنسوا الرياحَ .. الرصيفُ لا يحكى
وأنا عاشِق الكلام .. لا تُشَبِّهوا شارعاً بى
ولا عربةً أن الرجَل لا أكثر .. الرجلُ
ماءٌ قادمٌ يلمعُ وآخر بلا لونٍ .. ماءٌ
وساقان .. أعشق السِّمانَة واستدارةَ .
الكعْبِ لا أحب الفضَة ولا الحليبَ
الذهبُ سَيِّدٌ .. والهواءُ امرأةٌ أريدُ
أن أتنفَّسَ الهواء امرأةٌ سأخلعُ
الهدومَ الهواء امرأةٌ أريد أن
أتشنطى

* * *

من هذه الجميلة التى لا تعرف المتنبى ؟
أهى التى تُسَمّى الفقرَ خطيئةً
والفقراء موتى ؟
أم التى تَغْدو
وتقيس الوقتَ بالنقودِ ؟
اكتبوا
شيكاجو لا تشبه الاسكندريةَ
ولا بيروتَ
شيكاجو ملكةٌ .. ولا تقرأ التاريخَ
شيكاجو مُصابةٌ بمرض الآلةِ
ولِصة أيضاً

لن أبحثَ لها عن قبرٍ

لأننى لا أحب الموتى

ولا عن قَيْدٍ

لأننى أكره السجونَ

اكتبوا

تَسْتحِمُّ فى بحورٍ لا تُحْصى

وتعشق الأنبياءَ والملاكمينَ

لها حَسَنَةٌ تُسَمى جوليا

وظلُّها أوّل البرارى

(٣)

جارتى تَتَزَيّن للغائبين يزورونها فى المنامْ
جارتى تمنح الباب فى الليل تذكرةً
كى يسافرَ ..
أثوابها سوف تلْمع مَقْذوفَةً
واحداً بعد آخرَ
أثوابها كالنجومِ
قليلٌ من الضوءِ يكفى لمن عاش فى الجُحْرِ
سوف تُرتِّب صَفَّ الفناجينِ
تَدهن شَعْراً
وتُخْفى الذى ابيضَّ فيه
وسوف تُعَطِّر بعضَ الممرّاتِ
كى يتذكرَ نهرٌ شواطئَهُ
فى الظلامْ.

(٤)

لم يكن فى انتظارى والت ويتمان

ولا الميسيسبى

ولا أىٌّ نهر آخر

لم يكن بسمكةٍ مأكولةٍ ذلك العجوزُ

ولا صاحبُ المدارِ ..

اكتبوا

لم يكن سوى الجميلهِ اسمُها جوليا

وشاشاتُ الكمبيوتر

....

أحدكم يُخفى خِنْجراً وراء الظهر

أحدكم يحمل اسماً فى الجَيْبِ

وآخرَ على الذراع

أحدكم يَعْرفُ ولا يَعْرفُ

هل هو الرصَيفُ تَوْأمى الذى يصيح بى

فى الليلِ والذى يَسْتحّلِب الهواءَ ؟
لا تُشَبَّهوا شارعاً بى ولا عَرَبَةً
أنا سليمان لا أكثرَ ... سليمان الذى يُحِبُّ
الحوائطَ لأنها تُخْفى
والمدينةَ لأنها غابةٌ
والخلاءَ لأنّه مُسْتَوْدَعُ الهواءِ
والهواءَ لأنه المرأةُ
اكتبوا
جوليا لها ثديان فقط
وذراعانِ
وفرج واحدٌ
رأيتها فى حِزام القمحِ بعيداً عن
طائرات الشبحِ ومزارع الدبّاباتِ
اكتبوا
تعرف ما تحت ثوبها وتسوق الباصَ
تُسَمى كلَّ ماء نهراً
وتَعْشق الآلةَ

اكتبوا

ليست حُرَّةً تماماً

ولا طيِّبَةً كما يظن الخزّافونَ

لا تكن أسْوَدَ ولا عَسَليّاً ولا أصْفَرَ

لا تكن تاريخيّا ولا حارساً للظلِّ

جوليا تكره الظلالَ

اكتبوا

تعرف الطرقَ كلّها

مخابىءَ الورّاقين ومخازنَ الملابسِ

المُسْتعْملةِ البارات ومهاجعَ

الملائكةِ وتحسب المتنبى بحراً

من الرمالِ

اكتبوا

آن للعشب أن يَخْلفُ الشجرَ

وآن للماضى أن يُلجِمَ المُسْتَقْبل.

(٥)

هذه الشوارع التى تفر من رِجْلَىَّ كالإوزّ

أجمل منها شارع البستان والمقهى

وشارعُ المعِزّ

على الأقلِّ أستطيع قُربَ الفجْرِ

أن أسير آمِناً ...

ومُغْمَضَ العينينِ

لا الرصيف يَسْتطيع أن يفِرَّ من وجهى

ولا ملامحُ الوجوه

عَمَى الغريب لم يزل سَدّاً

عمى الغريب ...

رغم المعطفَ الجديدِ

والخرائط التى أرسمها

ونُدْرةِ الكلابِ

لم أزل أسير فى الشوراع التى بداخِلى

ولم أزل أتوه.

(٦)

من حقى أن أضع قُبعَّةً على رأسى
وأن أحمل معطفاً ثقيلاً
السحبُ لا بيوتَ لها
والرياحُ ذئابٌ تعْدو

* * *

من حقى أن أزيحَ المظلِّيينَ والآلاتِ
والمحيط قليلاً
وأن أُسَلّيِ جوليا بقصة الحمّال والبناتِ
جوليا امرأة عاديةٌ جداً
أعنى لا تُشبه الدّبّابةَ
ولا تعرف أنّ الأبيضَ المتوسطَ ليس
مُتَوَسّطاً ولا أبيضَ وأنّ الأسماءَ عُلَبٌ .. .

والطرقَ فى البرارى حُرَّةٌ كالذئابِ
لم أعُدْ تائهاً
التائهُ لا يعرف انّهُ تائهٌ لكننى أعرفُ
التائه لا يُراهِن مثلى على المشَرّدينَ
والخاوين وبائعى الكلام
التائهُ لا يعرف أنّ الجبالَ فى الليلِ
تَمْشى .. كجِمالٍ لا أعناق لها
والمدنَ أيضاً

* * *

هذا الشارع هل يُفْضى الى جِسْمِها
أم آلةُ النقود ؟
اكتبوا
وُلدتْ على سُلّم البنكِ لكنها أنثى
أحياناً
تُرافِق الملاكِمين يَتْلون قصائدهم

وراء النهرِ

أحياناً

تُشَجِّعُ راكبى الأحْصنَة يَثْقُبون السحبَ

ويُطَيرِّون بالرصاص قُبّعات الغيرِ

أحياناً

ترى السمكةَ ولا تَرى المحيطَ

اكتبوا

حَسبَتْنى قاتلاً

لأنّنى أعشق المقانِقَ

وإرهابياً لأنّ أمى اسمها زينبُ

لا تَرّسموها عربةً

ولا زجاجة كولا

ولا تشبهوا الثورَ بالأسَدِ

الأسدُ ليس عِدَّة خِرافٍ مَهْضومَةٍ

وَفِّروا الخرافَ ...

الأسدُ أسدٌ .. والفأرُ فى العُبِّ يَلْهو.

(٧)

لا أحدَ قُرب النهر

لا أحدَ فى الغابة

لا أحد يَغْدو على الرصيف الآخر

لا أحد يَتْلو قصيدةً فى الممشى

لا أحد يرسم قلباً على جذع شجرة

لم تجىء جوليا

لم تجىء لنشتُمَ المداخِن

لم تجىء لنُعْلَن مَحْمِيَّةً مزارعَ العاج

لم تجىء لنغْزَوَ البرارى

لم تجىء لتعرف أن المآذن لا تشبهُ

المدافعَ والدآنَةَ لا تَصْلح شاهداً

على الزواج

هذا الشارع هل يُفْضى الى جِسْمها

أم الآخر الموازى ؟

لم يَعُد قادراً على احتمال السرِّ صدرٌ
من الزجاجِ
أفكِّرُ بإحالة شعبٍ الى التقاعدِ
وإنْجابِ آخر لا يشبه الغبارَ
أفكرُ باستضافةِ لبؤةٍ لأبعدَ الخرافَ
ادخلى يا جوليا
صوتى مَخْزنٌ للسمكِ
وحيواناتى تثقب الهواءَ
ادخلى يا جوليا
قمرٍ مُنْتصف النهار لا يُغْشى
ولا ضَجَّة الألوان
جوليا سَخيّةٌ جدّاً
جسدُها لا يخُصّها أحياناً
جسدها الذى كالكنْزِ
ألأنها تَحْسَب نفسهَا ملكةً
وجِسّمَها خُبْزاً ؟

(٨)

الرعدُ مَدافع
والبرق صبيٌ يلهو بمفاتيح النورِ
اثنان سيَنْسحبان من النافذةِ
أنا والريحُ
اثنان سيتجهان إلى الأدْغالِ
على الأشجار طيورٌ تَعْوى
مطرٌ أصفر
مطرٌ
وفراشاتٌ
هل سيهبّ الصيفُ من الأدراجِ
الليل هوى
وابْتَلّ هواءُ الغرفةِ
فى الطرقات سماء سوف تنامُ
وفى مَحفظتى شمسٌ لن تأخذها جوليا
هل ستَدُلّ الثلجَ علىَّ غداً ؟
سأكون كريماً

وأناولها المعطفَ والقبّعَةَ وهذا البوتَ
كريماً
وأحدثها عن رمسيسَ وقد آخُذها
للصحراء الكبرى
لترى المنْسِيِّينَ وتعرفَ أن الربَّ
يُحب البِيضَ وأنى مثل جميع المغْلوبينَ
أحِبّ الشعرَ الأصفرَ والعينين الزرْقاوَيْنِ
ومثل جميع المغْلوبينَ
أسُبّ الشعرَ الأصفرَ والعينين الزّرقاوين
وأنى طول الليل أُخَطّطُ كيلا يقعَ السقْفُ
علىَّ .. لجوليا ثدىٌ أصْغَرُ من تَوْأمِهِ
وخُطا تشبه مطراً
سوف تطير غداً بالباص لكى تُفْزِعَنى
سوف تطير غداً بالباصِ ..
وسوف تُقارن بالقاهرة امرأة فى التِّسْعينَ
وتضحك وهى تُهامِس فى المرآةِ امرأة
أخرى.

(٩)

أظنّنى أستحقّ وساماً أو قلادة ما
هل فكّر أحدُهم بِمَنْحِى غُرْفةً على النيلِ
أستَقْبِل الهواءَ فيها ؟
بعضُهم يظنّنى خائناً
وبعضهم أعمى
ألأنّنى قلتُ الجاحظُ لا يُشْبِه القطارَ
والمتنبى لم يَعُدْ حصاناً ؟
صَعْبٌ ذلك الخلاء وصعْبٌ حكّ دم بآخرَ
هل أقول السفرُ مِهْنَةٌ للنهر وأدَّخِرُ ساقىٌّ
مدُنٌ خلفى تركتها هناك جاءتْ
مُدُنٌ بحاسةِ الشمِّ

لم يكن فى المقاهى والت ويتمان

ولا الميسيسبى

ولا صاحِبُ العُواءِ

كان مَشْغولاً بِعَدٍّ نقوده

وكتابةِ قصائدَ لا يقول فيها

أميركا دولاران وسبعة وعشرون سِنْتاً

أميركا متى تُصْبِحين ملائكيَّةً

أميركا مَيْكَنَتُك أكثر ممّا أطيقُ

اكتُبوا

لم يكن سوى الهواءِ وبَشَرٍ يُخْطئون مثلنا

ويحلمون مثلنا أيضاً

بجوائز لا يَسْتِحقّونها أحياناً

لم تزلْ تُمطر

ولم تزلْ تَغْسل البيوتَ، هذا الرجلُ

هل يُشبه القاهرةَ فى صوته بَحّةٌ تُشْبهُ
الهَرَمَ وموسيقاهُ مَحْشُوّةٌ بالصَّدَفِ والمربعاتِ
اكتُبوا
كل مدينةٍ أنثى
لتعرفها عليك أنْ تدخُلَ
الحجَرُ ليس حَجَراً
والنوافذُ ليست معارض لتماثيل نِصْفّيةٍ تُطلُّ
أهوى المدنَ مغسولةً كالنساءِ
ومَدْهونةً كالنساءِ
لم تزلْ تُمطر
ولم تزل تغسل الهواءَ
لا أحدَ يهتف رُخّى
لا أحدَ يَرْكض عارياً فى الحقولِ

أفكر بإعطاء السماء عناوين أهلى

أفكرُ بجِسرٍ على البحرِ وآخر على المحيطِ

لم أجىء لأُصبحَ نهراً

ولم أجىء لنُصرةِ الخرافِ للأسد أن يأكل

وللريح أن تُفشِيَ الصراخَ

اكتُبوا

فى البرارى مدنٌ لا تخُصّ أحَداً

هاجَرَتْ فى السّراويل والقصصِ

وشتائم المهاجرينَ

مدنٌ تُشبِهُ ولا تُشبِهُ

تاريخُها آتٍ

ونورُها ليس حَدّاً

(١٠)

معطفى معى

ولم تَضعْ محفظتى

ليسوا كما يُشاع ماهرين جداً

مُراقبو البرارى

ليسوا كما يُشاع مَدسُوسين فى الفضا

ويَسْرقون الكُحْلَ

لم يَروا حقائبى مَحْشوّةً

ولم يروا جوليا

خَبّأتُها فى دَفترى لكى أصُدَّ البردَ

ليسَتْ البرارى بعيدةً جداً

أظنّها فى الدرْجِ أو على الرصيفِ

خلف جبلٍ

أو تحت هذا الجلْدِ

هل تُسَبّ نجمةٌ لأنها عَلَتْ

ويُمدح الموتى لأنهم ماتوا ؟

لا وجْه لى هنا

لا وجهَ لى فى النهرِ

أو على الجدارِ

كالزجاج أصبح الكلام بارداً وطارداً

فكَلِّموا اليَدينِ باليدينِ والعصا بالبئرِ

والهواءَ بالهواءِ

لم يَعُدْ مُؤهّلاً لنُزْهَةِ الصباح هذا الشجرُ العارى

ولم تَعُدْ بالسِّرِّ غابةٌ تتيهُ

جسدى لم تَشْوِهِ الأنثى

ولم يُلِنْهُ الحُبُّ

جَسَدى والسلم الصّوتىُّ

هل سيدفَع الهواءُ فى المساءِ شُبّاكى

مُبَشِّراً بالحربِ ؟

مِنْ هنا

مرّ الجنودُ كالغُبار خلف موتهم

واتَّهموا الحملان عند حافةِ المجْرى
لأنها الحملانُ
مِنْ هنا
تَدافع الغُزاةُ صَوبَ البحر
بالحِبالِ رَوَّضوا الهواء مرّةً
وبالحِبالِ
شدّوا مدُناً من كتب التاريخ
لن أقولَ أُشْبه الغُزاةَ فى الصباحِ
عندما أقوم من نَومى
ولن أقول الريحُ نفس الريحِ
وَرقى حولى
والمرأةُ التى عشقْتُ لم تَقُل: وَداعاً
ولم تَدَعْ على السريرِ نُسْخَةً من جِسْمها المضِىءِ
هل تُشيع أنّنى أُلوِّثُ الهواءَ بالعُواءِ كل ليلةٍ
وأننى أريدُ أن أصيرَ واحداً غَيْرى ؟

(١١)

من حَقّى أن أرتاحَ قليلاً
الشارعُ خالٍ
والظلُّ على الحيطان غلا
من حَقى أن أخلعَ هذا الجوربَ
كى أتحَسّسَ بالقدمينِ
أصابعُ قَدَمى لم يَخْنُقْها الجُحْرُ
أصابعُ قدمى مثل أرانب تهوى العشبَ طرياً
وتُحب اللهوَ
البحرُ قريبٌ
سوف أعِد شباكى
وأحاول شد اليودِ
سأحلم بالأيام الأولى
وأفكر بالغاباتِ

* * *

أصابع قدمى تحفر مثل أرانبَ

لم يُفزِعها البردُ

ولم توقفها الريحُ

أتبحث عن تاريخٍ فى الأعماقِ لها ؟

(١٢)

السماء لم تزلْ تَدْنو

والجليدُ على العشب يُشْبِه الحليبَ

هل تُرضِعُ السماءُ الأرضَ ؟

صعبٌ ذلك الخلاءُ وصعبٌ حكٌّ دمٍ بآخر

أكررُّ

كى تعرفَ جوليا أنّ لكل عاشقٍ كَعباً

وأن الذهبَ لا يشبه الرصاصَ

وأن الوحيدين ليسوا دائماً مداخِنَ

أُكَررُّ

كى تعرفَ أن سماءً عاليةً لا تعنى سوى الجحيم

وأنّ الماء إن سال شفى

وإن وقف صار مَرَضاً

جوليا لا تشبه نفرتيتى

ولا القرويّة اسمها زينبُ

ولا المِقلاةَ

جوليا تضحَكُ وتَبكى

وجوليا لها شعرٌ أحمر وأصفرُ

وثَديان مُغْوِيانِ

وجوليا لم يُعطها الكومبيوترُ جسداً

ولا مدينةٌ تُشْبِهُها

هل تعرف أننى أعشق البرارى وأكره الناطحاتِ

وأننى تزوجت البدينة اسمها القاهرة لأنها مَرِحةٌ وتجيد

صبَّ الشاى وأننى أيضاً

لم أعُد قادراً على دخول المقهى

لأن الأنبياءَ فى الشارع يطلقون النارَ

لم تزلْ تمطرُ

ولم أزل فى الجُحرِ

لا أرى القلعةَ ولا الهيروغليفيين آكلى الجُثَثِ

أو مُدمنى الكلام جبلٌ ولا يُشبه المقطّمَ

ونهرٌ لا يُشّبه النيلَ

هل تُشبه القاهرة هذه المدينة ؟

(١٣)

أستطيع الآن أن أمسكَ هذا الصقر

أستطيع فى السرير أن أخطو

من قارةٍ لقارة

وأستطيع أن أظلّ هامداً فى الركن كالدولابِ

لم تزل تحتفلِ الأشجارُ خلف غُرفَتى

ولم تزل تستبدل الشمعىّ بالوردىّ

والبَنَفسجِىَ بالزّاهى

ولم يزلْ مُستَوحِدٌ يتلو قصائد الغُرابِ فى الممرّ

أو يُتَرجِمُ الغيوم رُبّما

ليمنحَ الصحراءَ فُرصةً أُخرى

ورُبّما

ليوقدَ الشموعَ فى المقاهى

هل يستطيع الركضَ فى الخلاءِ وارتداءَ غابةٍ ؟

نسيتُ أن أحُطّ فوق نخلةٍ وجهى

نسيتُ أن أدورَ فى الفضاءِ مثل صَيحةٍ

نسيتُ أن أصُبّ قهوةً لعابرى البرارى

نسيتُ أن أقولَ للجميلةِ التى صادفتها فى الحَفْلِ

أنها جميلةٌ

نسيت أن أعلنها ملاكاً

نسيت أن أدفِئَها

وأن أشيعَ فى كلامها كلامى

نسيتُ أن أُسَمّى غابةً باسمى

نسيتُ أن أدُسَّ عُملةً صغيرةً فى النهرِ

كى تَصيرَ سَمَكاً

نَسيتُ أن أظلّ واحداً لكى أظلَّ حُراً

نسيتُ أن أواسِىَ الرعاةَ والمشَرَّدينَ

والذين يكتبون عادةً من اليمين والسكارى

هل أعلنتَ علىّ الحربَ غابةٌ لأننى نسيتُ ؟

(١٤)

إذاً

لم تكن الشوارعُ مرصوفةً بالذهبِ

ولا الشجرُ مُثقلاً بالدولاراتِ

الشوارعُ كانت شوارعَ والدورُ دوراً

إذاً

لم تكن جوليا ملكةً لأستأنسها بِسرّجٍ زاهٍ

كانت أمّاً لأطفالٍ يبيتون فى العيادات

وابنةً لجنودٍ يهرسون الشرقَ بشواربَ كثّةٍ

وصفوفٍ من الأزرارِ

لم تزل حلوةً

ومَحشوّةً بسحرٍ طاغ

هل تظن الجاحظ فأساً

وأبا العلاءِ سارَقَ خيولٍ ؟

إذاً

لم يكن الماءُ عَذباً

ولم يكن محررو العبيد قد حرَّروا العبيدَ

الأسوَدُ لم يصر أبيضَ

والأصفرُ لم يزل قصيراً

هل تعرف السماء أن الأحد عُطلةٌ رسميّةٌ ؟

لم تعُدْ تمطر

ولم أعُد فى الجحرِ

يوم ملائم للعَدْوِ وتذكّر المحاربينَ

هل أرى السفنَ متَّجهة للغربِ ؟

أم المهاجرين خلف نبىٌّ ببدلة القبطانِ

انطلق أنت فى أمريكا

بوسعكَ أن تصير بطلاً

أو صانع مدافع

انطلق أنت فى أمريكا

بوسعك أن تصير ملكاً على دولة فى الشرق

أو رَبّاً لأمَّةٍ فى الجنوب

قهوتى بردت وجوليا لم تجىء بعدُ

سوف أخلع حذائى وأسابق الغيومَ

جوليا لا تُحِب الفضةَ ولا الحليبَ

لبنها لم يزل كامِناً فى البعيدِ

وثديُها صُلباً

هل ستكتب قصيدةً عن رجل يُشبه الحائطَ

أو شاعرٍ يُشبه الحصانَ ؟

أم سَتُملى على آلةٍ فى الليلِ

الحصان رومانسِىٌّ

ولا يشبه القطار

أما الحائط فقاطع طريقٍ ؟

(١٥)

الشوارعُ أطولُ مما توهَّمتُ

والنخل أعلى

ألأنّ المدينة فى الليل تَنمو

أم لأنى أسيرُ على مهلٍ

وأعُدّ المنازل كى أتَسَلّى

مضى الليلُ

والصمتُ مازال حدأ

مضى الليلُ

والبحر يلهو بعيداً

هل تفكر جوليا بمنحى مفاتيحَ غُرفَتها

وصورة بيتٍ على التلّ

أم ستدارى مصابيحها

وترحل عاريةً فى البياض

مضى الليلُ

والباصُ لم يأتِ

فى الباصِ نصف المقاعد للآنساتِ

وَرَفٌّ لصوت المحارِبِ

سوف تُسَرِّب من تحت بابى رسائلها

وتصحب صورتها للسريرِ

مضى الليل

والحرب دائرةٌ فى البرارى

فهل أخبر الله أنى وحيدٌ

وأن المدارس خاويةٌ

وأنى اشتهيتُ جميع النساءِ

وأن الفتاة التى شعرُها فاحمٌ

لم تزل فوق صورتها

تحاوِل انجاب طفلٍ

(١٦)

لحيتى طالتْ .. وظلى تابعٌ لغيرى

هل أعلن البرارى وطناً

وأزيّنُ الجنونَ ؟

أم أهب الرجل فُرصةً ليصبح نهراً ؟

أعرف العَومَ ولا أشبه السفينةَ

هذا النهرُ هل يشبه المهاجِر

جدّى لم يصر نهراً

وجارى لم يكن بحّاراً

إذاً

أستحمُّ لأزيح أُمّةً من الفيروسات والبكتريا

قد أصبح أوّلاً لثانٍ

ورأساً لجسدٍ لم يزل فى الجُحْر

لم أعُدّ جسراً

ولم أعد بالعصا أقيسُ عمقَ النهرِ

هل هذه صورتى ؟

إذاً

أقول الاسمُ زنزانةُ المسَمّى

وأرحل خفيفاً

أعنى لن أسُمّىَ الحَجَرَ وطناً

ولن أسامِحَ الجنودَ والمُكَفّرينَ

أخشى أن تعرف جوليا أننى أكذبُ

وأننى لا أستطيع الصعود والهبوط فى الوقت نَفسِهِ

وأخشى أن تعرفَ أننى ماكِرٌ كغيرى

وأننى سأفكّ أزرار ثوبها لأننى مُغْرَمٌ بالعشبِ

وتسلق التلالِ

هل هى البرارى ؟

إذاً

أضعُ سُلّماً وأعلن السلامَ التعبُ هَدَّني

ومدني تُشبه الغزاة

أُفَكِّرُ بمدينةٍ صغيرةٍ من صُلْبي

أفكِّر بالمهاجرين بَنَوا للمهاجرينَ

هل تُشْبِهني هذه القصيدة ؟

دهاليز

(١)

لا أحد يربي تحت السلم ديناصوراً

لا أحد على درج يتشظى

أو ينتظر الفجريات

الشارع خالٍ

والحانات ازدحمت بالخاوينَ

فكيف أحك دمًا بدمٍ

وأسمى نفسي الشاعرَ

كيف أصد هواءً ضداً

وأهرب للأطفال سماءً أخرى ؟

لا أحد يصُب القهوة لي

لا أحد يحط اللقمة قرب الحائطِ

أو يخترع نجوماً

لا أحد كنيلٍ يخطو

لا أحد يحاول من نافذةٍ شد ملاكٍ

لا أحد بقداحته يسعفُ

أو يتحدث عن أحوال الطقسِ

الآلة ليست أحداً

لا أحد يخط حروفاً تفشى سر يديهِ

الآلة تكتب طول اليوم قصائدَ وحكاياتٍ

عن جدتها

وحدي سوف أسيرُ إذاً.

وأفكر بالغاباتِ

ووحدي سوف أهز مملوكاً ناموا

في الموسوعاتِ

ووحدي سوف أصب القهوةَ

للآتين غداً.

(٢)

مثلنا

سيكتشفون فجأة أنهم كبروا

قبل أن يصعدوا

وقبل أن يعبروا البحور كلها

الذين يركضون الآن في الشوارع

والذين ظنونا جثثاً

والذين أيضاً

يشبهوننا

(٣)

التي لم تغتسل مذ ولدت

التي تدلل اللصوصَ والجنود

التي من أجلها حاربتُ واندحرت

التي تكتظ بالأسرى

أشيخ فيها الآن كالترامِ دونما قلادة

تتيح لي على الرصيف موقعاً مناسباً

أو خطوة تهابها الكلابُ

قرب الفجرِ

عندما أعودُ مثقلاً بعطر جارةٍ

تظنني مظلة.

(٤)

لست علاء الدين ولا فانوسَ معي

سأسير إذاً في الشارع وحدي

دون دليلٍ

وأواجه وحدي الرجل الآلة

والرجل الخفاشَ

ووحدي

سوف أحرر بنتاً من قفص الجنيٌ

لكي أمنحها قفصاً أخرَ

أعني بيتاً

وأكاذيبَ

وطفلاً بنوافذها يلهو في الظلماتِ

وآخر يحسبها شرنقةً

* * *

لست علاء الدين ولا فانوسَ معي

أعني لي ساقان فقط

والأيام قطارٌ

أعني سأشيخ هنا في المنزل أو في المقهى

كالشعراء تماماً

والحكائينَ

لغيري أن يكتفي بسَرْجٍ

ولغيري أن يكتشف على أجساد الناسِ

رؤوس الحيواناتِ

ولي أن أقعد في الميدانِ

محاطاً بالأرصفةِ

وأن أنتظر امرأةً تكذب طول اليومِ

لكي أتعرى

وأحدثها عن أمجادي

كيف أطحت برأس الذئبِ

وكيف أخفت الفيلَ

دفنت ملوكًا ظنوا الموتَ يخص الغيرَ

ولي أن أرسم هالة يماً مزحومًا بالسمكِ

وأن أشتمها سرًا

شختُ وظلت في العشرينَ

وشختُ وظلت في غرفتها

تحلم كالمعتاد بثدي أكبر

أو أردافٍ أخرى

(٥)

الرجلُ على الحائط

لن يُخجِل بنتاً بعد الآن

الرجل على الحائط

لن ينسى كالمعتاد يديه على ردفيها

ويقول كبرتِ

وثديك نور

ثم يسب ذكورًا لا أحصنة لهم.

(٦)

لأنك متعبٌ مثلي

لأنك في شارعٍ آخر أو قريةٍ أخرى

لأنك لا تعرفني

لأنك تفهم أن الشيءَ لا يُعرفُ بغير ضِده

لأن السلام لم يعد سلاماً

لأن الماء لا يُحَدُّ والعطشُ أيضاً

لأن الحرب لم تعد موسماً

لصانعي الأغاني

لأنك صديقي

سأعطيك بلطتي

وأشتمك أحياناً

هل تقرأ مثلي جريدة الصباحِ في الصباح التالي ؟

(٧)

لأن البرجَ هَوى

لأن هواء الشارع متسخٌ وقديمٌ

لأن البحر بعيداً جداً

سأظل هنا

منتظراً غجراً ينحدرون من المستقبلِ

موشومينَ

ولا يثقون بغير الأيدي

هل يشبه بئراً هذا الكهلُ ؟

وجوهٌ تلمع فيهِ

وحول اللحم حشائش تطفو

سأريه عصاي وعلبة تبغى

وأقول كبرتُ وقلَ الماءُ

وقد أمنحه نصف السر أريه طيوري

والمائيين احترقوا في الدولابِ

أليفٌ هذا الصوفُ خراف يناير فوق التلِ

وفي العرباتِ مواءٌ

يودي لا يتسامى

ونحاسي كالمطاطِ

فكيف أصافي حيواناتَ الغرفةِ

كيف أطمئن مجهولين استتروا

كنباتاتِ الظلِ

ومشْروماتٍ ؟

أهي الشيخوخةُ

أن نكتفي بما في الدُّرجِ

نقلم شجراً في الدولابِ

وأن ننشغل بعَدِ ضروسٍ ؟

(٨)

ليس شمعُ الكلام إذاً

والأناقةُ

أو نكْهة الشاي

ليست مرايا النوافذِ

والشمس ساعية بالرسائلِ

أعني إلى الآن لم يتضح أولُ الخيطِ

لكنني سأشبه فستانها بالفضاءِ

وأعضاءها بالسفنْ

هكذا سأميلُ على حجر وأصد الزوابعَ

في البرد لا يخرج الشعراءُ من الصوفِ

والشمسُ أيضاً

هكذا سأنقّض ثوبي

لأخرج منه الذين استعاروهُ

سوف أشبه سلسلة الظهر بالمنجنيقِ

أُحَيي الترام الذي بشخير المسنين يحبو

وأقول الشوارع كالناسِ

بعض الشوارع يفضي إلى النورِ

والبعض يفني

لأن العصافير لا تصطفيهِ

يناير دُبٌّ

ولكنني الآن أمهر من ثعلبٍ

وعجوزٌ

وأعرف أن البحيرة ليست سوى زَخةٍ

والسلالم فخٌّ

لدى سيصبح وقتٌ لأسأل

أعني بنظارةٍ

وفمٍ فارغٍ

قد تصير الحروف مساكن للنملِ

والصمت أرحب

هل ستجيء غداً ؟

(٩)

الرجل على الكرسي أمام المقهى

ليس صديقي

الرجل بنظاراتٍ يلهو

ويريحُ يديه على طاولةٍ

هل سيقلب نصف السكر في الفنجانِ

يمد عجائز بمدراتِ البوّلِ

وموتي بكرات النفتالينِ

وهل سيظل يقص عن الصحراء الكبرى ؟

أم سيعود إلى منزلهِ

في الواحدةِ

تماماً مثل الباصِ

لكي يتهم البَصَريين ويعلن

إن الله تخلى عن قطعان الماعز

والحطابين مضوا بالشجرِ

وأن قميص الباشا ليس الباشا

أم سيفتش عن عدساتٍ أخرى

ليُسَوِّدَ ورقاً

ويلم فراشاً

ويخطط كي يستبدل بالقاهرةِ امرأةً

لا تنسل إلى الصحراءِ

الرجلُ يذكرُ أحيانًا بالغرقى

هل سيظل يغني – عاش الجيل الصاعد – في الباراتِ

ويمشي فوق الحبلِ بغير عصا ؟

(١٠)

لم يَنَم البحرُ لأصبح مليونيراً

لم يَنَم البحر ليقفز جنيٌّ من قفصٍ

مروا . . .

لا شيء لذي لكم

لست نبياً لأنظف هذا الشارع

أو شرطياً

لأنفض ثوب الباشا

مروا . . .

لا يعدو خلف الكنز سوى أثريٍ

وأنا

أبحث عن أنثى تلد وترضعُ

أنثى

تركض في السابعة صباحاً

بالأطفال إلى المدرسةِ

وأنثى

تعرف أن هواء المياواتِ

يخص المياواتِ

وأن حصان الباشا حجرٌ

في ميدان الأوبرا

(١١)

البنت على السلم

حين اشتعل فضاءً في عيني ابتسمت

وانفلتت مثل شعاعٍ

البنت الأنثى

قفزت حين مددتُ يدي

وصاحت عَمّي . . .

البنت المهرةُ

حين ابتعدت ثقل هواءً في رئتيّ

وغطى الأبيض رأسي

(١٢)

هل كانت تُدعي هالة حقاً

أم ألهو كالمعتادِ

وأخفي كالجني دماً بدمٍ ؟

لا أثق بكم

أحدكمو سيبلِغ ريحاً

أحدكمو سيغري رجل الشرطة بي

أحدكمو سيصبح فاعل خير كالمعتادِ

وينسف بيتي

السر ثقيلٌ

لكني سأسير على مهلٍ في الشارعِ

كالجنديِّ

وسوف أعُد الشجر العاري

هالة ليست هالة

سأقول إذا استوقفني الضابط

ثم أثرثر عن موسيقى الغِرَبِ

وأفلام الكارتونِ

وهالة ليست ذهباً يُسرَقُ

أو عاصفة تكنس شارع طنطا

* * *

في المستقبل

حين أصير عجوزاً في السبعينَ

وحين تصير الحاجة هالة

في المستقبل

حين يفر الشارع من أرجلنا

وتصير الصورُ بدائلَ في الألبومِ

وحين يظن صبيٌّ أني

كنت عجوزاً طول الوقت

وفي المستقبل

حين سيوقف رجل الشرطة لي تاكسياً

ويساعد هالة كي تمنحه البركة

سوف أكون حكيماً جداً

وصريحاً مثل الريحِ

وسوف أبوح بما خبأتُ

وأرمي للقرصان تقاليدَ القرصانِ

وفي المستقبل

حين أصير وعاءاً مملوءاً بالماضي

سأذكُرُ هالة أحيانًا بالبحرِ

وأيضاً

سوف أمد يدي

لأداعب سمكاً.

(١٣)

أن تصبح فماً

أن تجلس دائماً في الصفوف الأولى

أن تنحاز لربطة العنق

أن تهادن اللصوص

أن تمدح الميتين لأنهم ماتوا

أن تجد وقتاً كافياً لقطة الباشا

أن تنافق البوابين وحارسي المصاعد

أن ترشو الكلاب الصغيرة التي تبتز

يعني أنك اخترت أن تتقاعد

وأن تصبح مواطناً طيباً

وأنك أيضاً تستحق وساماً.

(١٤)

لم يفز أحدٌ
جارى ينام حاضناً لفائفَ البانجو
وجارتي بخيمةٍ لاذت
ولم تعد تشتت الظلام أو
تصد البردْ.

نــورا

(١)

لم تكن قصيرةً كشهر فبراير

ولا بضفائر طويلةٍ لتصبح أسيرتي

لم تكن نحيفةً جداً

ولا بِردْفين يُشبهان الماضي

المرأة التي ستخرج الآن

بفُسْتانٍ علي الرُّكْبَة

وأصابع تكفي لإحراق غابه

والتي لن يراها أحدٌ وهْيَ تَعْبُر الشارع.

(٢)

لا تشبه صورتَها

ولها صوتٌ لا يشبه بجَعَاً يتأرجح فوق الموجِ

وذيلَ حصانٍ

فارسم كالقرصان إذاً

وتحرَّر من ألواح الماضي

تعرفُ أنّ الصوتَ يدٌ

والعينَ كتابٌ

والمتولي قُرب الباب يَعدٌّ

وتعرف أن امرأةً في العشرينَ فضاء يغْلى

فامنح أُذناً شكل الوردة

والتُّفاحةَ لون الثدي

وشعراً رائحةَ النَّعْناعِ

امنحها دَرَجاً

وهواء لم تَهْرِسْهُ السيّاراتُ

وقُل قَيْصرُكِ وسَلّةُ خُبزك

تعرف أنّ الأرض امرأةٌ تأكل ما ولدته

وتعرف أنّ الأبْعدَ أدْنى

فاصحَبْ ناساً يَنحدرون من الألبوم

ولُمّ حرائق نابتةً في الثوبِ

لنورا ستُّ جهاتٍ

وسماءانِ

طيور تعلو

حين تُذيب الشمسُ وجوهَ المداحين

وصوَرٌ لمُريدينَ يضيق الحوتُ بهم.

(٣)

الحَجَريّونَ يَتَقَلبون في نومهم وهيَ لا تتقلّب
ألأنها لم تَصرِ حَجَراً ؟
أم لأنهم ثَبّتوا أطرافها بالمسامير
وأحاطوها بحنانٍ زائد ؟
لم تكن هناك حين اخترقتُ حواجز الكوليرا
بِجَزمة طوبيّة وجِلْبابٍ من الزّفير
صوتها لم يكن كهفاً
وثديها لم يكن قد طفا

لكنني اشتهيتُ الحربَ وانْشَدَدْتُ للرّنينِ
أظنها ستعبر الغرفة.

(٤)

إذاً

كانت امرأةً من هواء وماء

وكانت غباراً.. وناراً مُحَلَّقةً في السريرِ

دمٌ يتنزّل منها

يزُفّ اكتمالاً

ويمنحها موسماً للصراخِ

وكنتُ هُبوباً يُفتشُ عن حائطٍ

فناوَلتُها قلمي

ظَلّ مُنّزرعاً في الدواةَ

وأقسِم حَرّرتها من زنازنَ

فسْتانها كاد يخنق ثديينِ

والصمتُ جَمّرَ الشفاهِ

وقلت بساقين من ورقٍ سوف أخطو

إذا انتصف الليلُ

أو نعستْ في يديها الفراشاتُ

ابريل يدنو

ترابٌ

وهَرْولةٌ

وزكامٌ

وناس يَصُبون أعمارهم في المكاتبِ

لكنها من مياه سَتَقْفزُ خَمْرِيّة كالملاكِ

سترمى على دِكّة ظلّها

وتُحْشو مناقير شمْعِيّةً بالكلامِ

لها في الدواليب رائحةٌ لم تزل

ونجومٌ على الحَبْل

أحذيةٌ كالزهورِ وأحذيةٌ كالقواقعِ

من يخلع الآن عنها معاطفها الخَشبِيّة

يلمس زرّاً لتمتَزجَ الموجتانِ

تذوبُ الشوارعُ في شهْقةٍ

* * *

كان وجه الشتاء المجَعّدُ مُلْتصِقاً بالزجاجِ

طيورٌ ترابيّة تتسلّلُ

صمتٌ يرف

ورمانة السقف تبصق رملاً

وثوبي يصُدّ العصافير عن كتفي

ولنورا شواغلُها

قطةٌ

وكتابٌ

وطفلٌ من القطن يلهو

يُوَسّخ أثوابه حين يزحف تحت المقاعدِ

أو يتلكأ بين التفاصيلِ

هل أنتِ نورا ؟

بكت حين صِحْتُ

وكان الصباح على وجهها بقعاً

فابتسمتُ

هل انخَرَقَ البحُر ؟

مِلْتُ عليها

ولكنها ارتعشتْ

فاسْتندتُ إلى علبة التبغِ

صافيتُ صورتها.

(٥)

رُبما تفتح الآن شُبّاكها لطيورٍ من الجيرِ

تمنح قِطاً أصابع مَلْغومةً

رُبما تعرف الآن أنّ شوارعنا

لا تُعين على الحُب

والنيلَ ليس أباً

رُبما تغلق الآن باباً

أو تعيدُ بناءَ المدينة مثلي

على مقعد البارِ

صادفتها في الصباح تُراكضُ ماءً

وصادفتها في المساء على كَومةٍ تُشْعلِ النارَ

من أنتِ ؟

نورا

ومن أنتَ؟

مستوحشٌ

وانطلقنا

بكينا معاً وابتسمنا

رأينا يد الله فوق المدينة

والدركىًّ يسوق خراتيته في الأزقَّةِ

كان الشتاءُ على حافةٍ حين مالت

وحطّتْ دبابيسَها فوق رَفٍ

وكان الشتاء على حافةٍ

حين شدَّتْ شريطاً

وكان على حافة

حين عَرّتْ تلالاً وأوديةً تشبه الكهرمانَ

فناولتها أسمي

وقائمة بالهزائم.

قلتُ الرجال مدافعُ تصلح للحربِ والمهرجاناتِ

لم تكن امرأةً مثل بعض النّساءِ

مُجرّدَ فرج وثديينِ

كانتَ نُواة الأنوثة

مُجْمَلَها والعصيرَ

فُروج بأنحائها تَتَفتَّحُ
كل الثقوب فروج وكل القبابِ
لماذا يذكرني الحُبُّ بالحربِ
ظلت ثعابين جسمي تَفُض
وظلَّت فُروجٌ تقومُ
وظلت من النار بعض الشظايا مُعَلّقةً بالحوائطِ
أعرف أنى سأبلغ مائي وأحْجُب دِلْتاىَ
ألْحَسها مثل طفلٍ وَفِىٍّ لحَلْواهُ
ثم أقارنُ بالتوتِ رملاً
وأعلن موتَ الحريرِ
كلابُ الشوارع خلفي
وليلُ يلُمّ مقاهيهِ
صَرْحاً أقمت لها
وقلتُ مجوسِيّةٌ ستلمّ الفَراشَ
وتأكل ناساً من القشِّ يكْتهِلونَ
ويبكون حين يمرّ الهواءُ بهم.

(٦)

إذاً

لم تكن دَوْرَقاً ولم أكن صُنبُوراً

كنتُ ولداً قادماً

من هناك

وكانتِ بنتاً

بثديين كالدُّملين

وضفيرة كذيل الأرنب

إذاً

لم تكنْ مجرّد امرأةٍ

كانت مَلِكه

وكنتُ قادِما من الهزيمة أصيحُ يا ملكةُ

يا خائنةُ

يا كلبةُ

هل البحرُ قابلٌ للكَسْرِ؟

ضحِكتْ

حين قلتُ البياضُ صار صديقاً

والميركروكرومُ

ضحِكَتْ

حين قلتُ لن نشيخَ معاً

أكره العجائزَ

ألوانَ جواربهم

والأسنانَ التي تبِيتُ في الكوبِ

ضَحِكتْ

حين قلتُ أحِبُّ ولا أحبُّ

وأمشى ولا أمشي

هل الأسوأ مضى ؟

(٧)

رُبما تَغْسِلُ الآن أقدامها في مياهٍ مُلوَّنةٍ
رُبما تصبغ الشَّعْرَ
تُعْطيه رائحة المدنِ السَّاحِلية
أو تتلكّأ قدام نافذةٍ
لتلم الغيوم التي سَقَطت من عيون المغّنينَّ
ثم تَسيرُ إلى فندقٍ وهيَ تَرْطُنُ
تَنْتظر الله يلمسها بعصاهُ
لينهمر الزيتُ من ثديها

* * *

رُبّما كان زورقها صاعداً في الشّمالِ
فوانيسُها تَستريح على الثلج
هذا الشتاء بلا سَببٍ شَققٌ الروحَ
دَس أصابعه في الجروح
وقلّب أيضاً.. بلا سَبب عُلبَةَ الوقتِ
ناولني لحظةً كنتُ سيّدَها
موقدٌ في الممر وطاولةٌ
كتبٌ وتُرابٌ
سريرٌ
بقايا طعامٍ
ونَقْرٌ على الباب يشبه زقزقةً
وصباحٌ.. يُمدّ أصابعه من خُرُوم الشبابيكِ

هل أنتِ من مصر قلت لها
حين سَبَّت شوارعَ مَحشُوة بالغبار
فمالت على سَمَكٍ يتلألأ في الحَوْضِ
يزهو بألوانهِ
وبكتْ.

* * *

رُبّما تشرب الآن في الركن شايا
وتحصي البلاط تُدخّنُ
كي تُغلبَ الوقتَ
أو تَتَشاغل بالثوبِ
تَدّعك ثَدْياً بثدي
وتَضْبط ساعتَها مرَّة بعد أخرى
رُبّما تَتَقوى بِعَدَّ عيوبي

وتُسَوَّى ضفائر زائفةً

أو تَسُبُّ المرايا

كمَنجَتُها ستعين صباحاً على الحَبْوِ

لكنها ستنامُ

كمنْجُتها ستشُدّ الحمامَ الذي في الدفاترِ

بَيّاعة الفُلّ كانت تلاحقنا

والمروري أعطى فوانيسهَ لونَ حقلٍ

فسِرْنا

وهبنا الأسُودَ التي تحرس الجسْرَ كيساً من الفُولِ

ثم اخترقنا المدينةَ

أعطيتُ وجهي لمخطوطةٍ في الرخامِ

وأعطت لنافورةٍ يدها

* * *

رُبما وقفت في الصباح المراوِغ بيني وبين الرصيفِ
أو ابتسمتْ
وهْيَ تُسْقِط أقمارها بين رجلي ثم انحنتَ
فانحنيتُ وأخرجتُ علبة تبغي
وقدا حتي
وسألتُ طيوراً مُحلّقة في الدخان عن الوقتِ
ضاهَيْتُ صورتها بالتي في الجرابِ
وتمتمتُ معتذراً
حين مالت على شَبَحٍ في الحقيبةِ
هل أنتَ يونس ؟
ألقتْ ضفائرها للوراءِ
وشَدَّت من البحر صَنّارةً فارغةً

* * *

رُبما تلهث الآن بين المحطاتِ
تَدْفن في صَدْرها صوراً
وتهدهدُ طفلاً من القطنِ
قد تتذكّر أرضاً
جواميسُها ملكاتٌ
وأطفالها شجرٌ
والرجال محاريثُ
هل كان بيني وبين شبابيكها سفنٌ
أم إليها تَسلّقتُ حبل الكلام
انحدرتُ إلى خُضرةٍ في السَّواحل
حقدٌ سيُدْنى ملامحها حين آكلُ مُنْفرداً
مثل كلبٍ

وحين على حائطٍ أتَسَاندُ

حقْدٌ جميلٌ..

لماذا يطاردني وجهُها

ولماذا تُلحُّ كمعْصيةٍ وتضيءُ

يمامٌ بلون البُرُنزِ على الرفِّ مازالَ

هل ثوبها كان أخضرَ

سُكّرها كان باباً ؟

الجــامعــة

المدينة والبردُ..

فاصلتانِ

وأنت النبيُّ

وهذى الحجارةُ

والريح تثقب جدران قلبكَ،

هل أنت منقسمٌ..؟

أعط عينك للصقرِ

قلبك للماءِ

ينتفض الصقرُ والماء يرسو على ضفّة اللونِ

حين انقسمت انحنيتَ

وحين انحنيت استراحت على ظهرك الحشراتُ

وجاءتك ضفدعة كي تعينكَ

فاصلتان المدينة والرملُ

هل تنسف الرمل؟

وقتك يهوى

وأغربة البحر حولكَ

هل أنت منتبه

* * *

سليمان فوق خرائطه يتمدّد

البحر قدّامهُ ...،

والظلام يعشّش في القلب

والهدهد النبويّ يحط على الأرض عُكّازةً

الممالك والعرش فاصلتانِ

يقول سليمانُ: كل الدروب فواصلُ

القلبُ

والوقتُ

والأفقُ المتحجرُ بين الذراعين،

لكنني جامع للجهاتِ

يقول سليمانُ: إثنان أفضل من واحدٍ

من يُعينك حين تحط على ظهرك الأرض

تذبحك الريحُ

إثنان يشتبكان يُشدّان من ظلمة الصخر ضوءًا

ويمتلكان مفاجأة البحرِ

لكنني واحد ملكٌ.

* * *

المدينة والبردُ

زنزانتانِ

وأنت النبي تسلّحت بالضّعفِ

هل تركض الآن فوق ضلوعِكَ

غّطس جروحَك يا سيدي في الفؤادِ

وغطس فؤادك في الصمتِ

واستقبل النارَ

علّق على لهب العشب أمنية صرعتها الشوارعُ

والحجر المتمدّد من بؤبؤ العين حتى المحيط،

وقل للحمام المدينة ليست لباسًا

ولا وطنا للهديل

المدينة مذبحةٌ..

فاذهبوا في فضاء التشرّد متّشحين بعافية النورِ

فاصلتانِ الحجارة والرملُ

كيف تقوّض مملكةٌ نصبتها الشياطينُ

شعبٌ من الصخر يلتفّ حولك

يخنق في مقلتيك البحورَ

أتبحث في بئر وقتك عن وردة ذبحتها العواصفُ

مُدّ يدك..

وحُطّ على كتف الريح صوتَكَ

ألِنْ خطوَ قلبك حتى تخِفّ إليك العصافيرُ

حنّتْ دماؤك للعشب واللهب المتطاير

بين الجدارين وجهك يحكي عن الوجع الأزليّ

وبين الجدارين تمسى شباكُك خاويةً

وتبيتُ

وها أنت منكفئٌ.. تتقيأ عمرك

أو تتدحرج مزدحما بالعفاريت

يخبئاك طيرٌ

ويخشاك ماءٌ

عصاك دمٌ

وعصاك غبارٌ

وعرشك يحرسه الكارهون

سليمان يقفز ...

يمسك في راحتيه الجهات

ويضحك لمّا يرى نفسَه في البعيدِ

يُمرّغ عينيه أعضاءه في الحقولِ

ويرمي على البحر سترتَه فيئنُ،

يقول له القلب هل يرحل البحرُ..؟

أم يرحل الماءُ فيه،

يقول له القلبُ نهران يلتقيانْ

وعصفورة تتحدّث عن أوّل المدّ،

يوما أرى في المرايا مبارزة النارِ

هذا التقائي بوجهي

وهذا دعاءُ الوهجّ.

....

المدينة والبردُ

فاصلتانِ

يقول سليمان كل الدروب فواصل

القلبُ

والعينُ

والرئتانِ

وما كان سوف يكونُ

ولن تشبعَ العينُ والقلب لن يمتلئ

مالذي قالت الريح في أمسيات المسرّة

يأتي زمانٌ اقتلاعِك حين تصير المدينة همًّا

يحاصرك الرملُ

والنمل يأكل نافورة الأمنيات

فتدفع عن عشبك الجبل المتدحرجَ

جاءت خيول الجنوب

وجاءت رياح الشمال .

وغادر لونٌ وحطّت فصولٌ

وما زلت مُنْقطِعًا كالجبال تمد يديك إلى الأرضِ

تحبو إلى البحر

والأرض تهربُ

والبحر يهربُ

فاصلتان يقول سليمانٌ

الحلمُ

والوطن المتخشّبُ

هذه البلاد التي سكَنَتْني وقلَّبتُها

ثم صرنا عدوّينِ

كون بليدٌ..

أردتُ أزينه فانقطعتُ

ويُجأرُ..

يستدرج الزمن المتسرّبَ

قالت له الطيرُ جامعةً ستكون،

تلّون في راحتيك البلادَ،

وتقتلع الموتَ

كان المساء يعكّرُ قارورة العينِ

ريح من الشرق تقتلع القلب

ريح من الغرب تدفع خيل الظلامِ

يقول سليمانُ

يتسع الليل حين تنام المدينة

تأوي إلى دفئها الحشراتُ

وتقذف صوتك يرتدّ متّصلا بالأنين

انحنيت على بيضة النور فانفجر الليلُ

ذوّب أشكاله في المياه

ومدّ إلى الكون أبريقَه فاستحمَّ

وكنت أفتّش عن وردةٍ للغلامةِ

بوّابتان إلى النارِ

حلم يمد أصابعه للغيوم

وقلب يُحدّق حتى يرى في الفضاء نجوم الظهيرةِ

هل أسلم العشق قلبا إلى الدفء؟

هل أسلم القلب مملكة للسلامِ؟

تملكتُ فانشطر القلبُ

ثم عشقتُ فضاقت دروب المحبّةِ

هذا دمي في التراب

وهذى دموعي مبعثرة في القبائل،

ترمي إليّ الهداهدُ أكذوبة في الصباحِ

وأكذوبة في المساءِ

فأخلع ثوبي

وآمر بالحَبّ والظلّ

آمر بالضوء والماءِ

لكنني حين أدخل جحري

أزيح الرماد الذي كوّمته الأكاذيبُ

قالت لي الرّيحُ

قيّد فؤادك

البحر قدّام أنفك

والنار في الظهرِ

قالت لي الريحُ

كل الدروب تضيقُ

وأنت تضيقُ

فهل تعشق الصخر ؟

أم تستعيد زمانًا تبخّرَ

ها أنت تخطو إلى النارِ

تصلب عينك بين المياه البعيدة والسّوْسن المتفحّمِ

فاصلتان المدينة والبردُ

لكن وجهك متسّعٌ للمدينة

هل تقعد الآن بين مراياك،

تكتب في دفتر باتساع الأحازين،

عن أنهر تتخشب في المقلتين

يقول سليمان من ظلمة نستدير إلى ظلمةٍ

ما الذي لا يضيعُ،

وأيّ الشواغِل لا يُسّقِم القلبَ

للصبح لونٌ

وللليل لونٌ

فهل يأكل النهر ضفّتَهُ ؟

أم يصاحب عصفورة العشب صقرُ الجبالِ

يقول سليمانُ

لا تحن رأسَك للريحِ

لا تحن للجوع

مِتْ في الوقوف وكن جبلا

يتغلغل في الوقت بين البرودة والنارِ

بلقيس في البحرِ

بلقيس في النار

دارت وشبَّتْ وصارت غبارًا

ويخطو..

يدحرج رِجْليهِ

يسحب أعضاءه من جرابٍ

ويستدرج الموجَ والهدهَد المتكلّمَ ،

يهتف من زمن لم تجئ بالحكايا

الكلام انتهى

جاء وقت الزلازل.

مـــــالك

مملكة ١

واسعة كأنها المقهى
ضيقة كأنها الدكانُ
في فضائه النحاسُ
والكبريتُ
زيت الزاج
والريحانُ
سقفها الغبارُ والمآذن التي في الغيم
أرضها ملونة
وماؤها مخضبٌ بصدأ الحديد
نهرها مكلفٌ بالسعي بين حائطٍ
وحائطٍ
شموسها غبيةٌ
مغرمة بالقتلِ
لا تلاعب الأطفالَ

لحمها مُسَخَّرٌ للصِ والغريب

بابها ـ في البحر

حدها ـ في آخر الكلام

مرةً

كان الغرابُ ربَها

ومرة تلونت للعِجلِ

سارّرت حجارةً

وراقصة ضفدعةً

ومرة .. تكومت ـ في خوذة الجندي

نهرها الوحيد لم تلدهُ

خبزها شِكايةٌ

وملحها النعاسُ

لم تزل ـ في خيمة الجندي مذ تَنَفست

ولم تزل واسعة

قميصها مستنقعٌ

وناسها دُمى

مملكة ٢

نجمةٌ ذابلةٌ

مسافةٌ للبحرِ

زُرقتانِ..

بين مركزيهما تسّاقط الألوانُ

شارعٌ

وكوْمةٌ من البياضِ

حائطٌ في رأسه الدخانُ

في جذوره دمٌّ

* * *

نافذة يُطل من فراغها الصدأْ

ستائر مصفرةٌ

تلوكها الرياحُ

شرفةٌ منذورة للنملِ،

فوقها يدٌ من خشَبٍ

وهدهدٌ.. يرِف صاعدًا

وهابطا

سفينة مرشوقة في البحرِ

لا يهزها دبيبُ ظلمةٍ،

ولا الرفيفُ

من عظامها يصّاعد الغبارُ

فوقها الغربانُ

حولها المدوّناتُ

قارضاتُ العشبِ

كومةٌ من علب الصفيح،

والذي استعاذ من بريّةٍ

فلاذ بالأصدافِ كي ينامَ،

شارعٌ ينساب من عباءةٍ

يذوب في الحديدِ

يختفي في سلّة الميدانِ

عاشق يداه تحت ذقنهِ

ظلامُه مَهاجعُ الطير

ظهُره للدورِ

وجهه عليه آيتانِ

آيةٌ للخوفِ

آيةٌ لوجع الصعودِ

عينه لؤلؤةٌ

وحول أنفه حطامُ بسمة

وآهة ممزّقة.

مملكة ٣

بابٌ..

وطاولة

وسُلّم يفضي إلى المجهولِ

بَدْلةٌ للصيفِ

معطفٌ لإبر الشتاء

موقدٌ في آخر الممر فوقه آنيةٌ

وفي الجراب الخبزُ

لوحةٌ في ركنها يمامةٌ

وَمرأةٌ في القلب حولها الجنودُ

عينُها مسكونة باللّغزِ

ثديُها مُكوّرٌ

وشعرُها البنيّ يُمسك الفَراشَ

للجنودِ حولها خنادقٌ..!!

لكنها تطلُّ كي تضاحك الذي غوتُه،

في المساء..

عندما يخبّئ الإله خلف ظهره المصباحَ،

تنحني..

وتدعك العينينِ

تطلق الفراشَ

والأيائل التي تلفلفت بالعشب،

ثم تعبر الممرَّ

تسحب الأطفال من أسِرّةٍ بعيدةٍ

وتغسل الأكواب

تبعث الحياة في مواقدٍ ميتةٍ

وتوقظ النيرانَ

تملأ الآنية التي تلألأت بالتّين

أو تلين الرغيفَ

قهوة تصب في الأكواب للنبي

لبنًا لقطةٍ تخشّبتْ في البابِ

ثم تخلع الأثوابَ

تنفض الغبار عن مدينةٍ صغيرةٍ

وتحتمي بالعرش

تفتح الأبواب للذي غوته

تصبح البراق

فوقه يدور شارخًا سحابةً

وراشقا عموده في البحر

خَدُّها يصير خوخةً

وفمها فراشة ترفّ فوق جسّدٍ،

متوج بالصّهدِ

صدرها وسادةٌ

وشعرها منازلاً للطيرِ

في الصباح

يطلق الجنود شمسَهم

فتهجر الفراش

تتّقى بورقٍ

وتحتمي براية الموتى.

مملكة ٤

غريبةٌ مُنَوّره

تسلّلت من زرقة الشمال

عبر البحرِ

دخلت مقهاهُ

واستعاذت باسمه الشّافي

ألقت على رِجليه ثوبها

وتاجَها

والبلدَ الأمين

كان ظهرُها مزركشا بحمرة

وثديُها رُمّانةٌ

والنار تحت الجلدِ

واللسان لا يعانق اللسانَ

عرشُهُ من الجريد كانَ

ثوبُهُ معبأ بالعشب،

يدُهُ حديدةٌ ..

وكان غافيا مخدّراً عكّازهُ

وملقيا قراه خلف الظهر

عندما تقوّستْ كقطةٍ

وقفزتْ..

تحصّنت بالجسد الإعصار،

ركعت

وسجدتْ

تلفلفت بلحمه الناريّ

وانحنت عليه

لحَسَتْ بالعين واللسانِ

دوّمتْ

وعصفتْ

وفي الظلام صارت كعكةً تلتفّ حول وتدٍ
وكان في فضائها يُنزل السلامَ
يهرس الحشائش التي تسدُّ باب القصر
ثم يخرم الجدارَ صاعدًا ونازلا
مباركا حديقةً
مظلّلا بصرحه المائيّ
في مقهاهُ كان هُدْهدٌ ما زال هائماً
يعد قصّة لليل
أو يلملم الحروف منْ مغارةٍ
يحط حرف النون
فوق الجيم
أو يسُد شارعًا بشارع
وربما العفريتُ لا يزال سابحًا مفتّشًا
وربما...

لكنني أرى غريبةً تصير شارعاً

وقبّة يغفو عليها الصقرُ

هل تظل تحت ريشه؟

يفضّها في الليل

والصباح

والظهيرة التي تسوق خيل الصّهَدِ،

أم تحِن فجأة للبحر

والبرودة التي ترسّبتْ في القاعِ

ربما تشيخُ

أو يشيخُ

يقفز الشتاءُ من حكايةٍ

وربما بداوةٌ تدسُّ فيها النابَ

ربما تصير آخر الكتاب

ربما...

تكون فاتحة.

التعريف بالشاعر

- محمد حسن أحمد سليمان.
- ولد فى قرية مليج – محافظة المنوفية عام ١٩٤٦.
- تخرج من كلية الصيدلة – جامعة القاهرة عام ١٩٦٨.
- شارك فى تأسيس حركة السبعينات الشعرية.

أعماله الشعرية :

- سليمان الملك "قصور الثقافة ١٩٩٠، دار المحروسة ٢٠٠٧"
- بالأصابع التى كالمشط "قصور الثقافة ١٩٩٧، دار المحروسة ٢٠٠٧"
- أعشاب صالحة للمضغ "هيئة الكتاب ١٩٩٧"

- هواء قديم "هيئة الكتاب ٢٠٠١، مكتبة الأسرة ٢٠٠٥"
- قصائد أولى "هيئة الكتاب ٢٠٠٤"
- تحت سماءٍ أخرى "قصور الثقافة ٢٠٠٣"
- اسمى ليسً أنا "قصور الثقافة ٢٠٠٥"
- دفاتر الغبار "هيئة الكتاب ٢٠٠٨"
- أوراق شخصية "دار العين ٢٠٠٨"
- أكتب لأحبيك "قصور الثقافة ٢٠١٠"
- إضاءات "هيئة الكتاب ٢٠١١"
- كالرسل أتوا "المجلس الأعلى للثقافة ٢٠١٢"

بالإضافة إلى مسرحيتين شعريتين:

- "العادلون – الشعلة" صدرتا عام ١٩٩٥ عن الهيئة العامة للكتاب
- تعرض له وتوزع الدار العربية للنشر الإلكترونى دواونيه "سليمان الملك – بالأصابع التى كالمشط – هواء قديم – تحت سماءٍ أخرى"

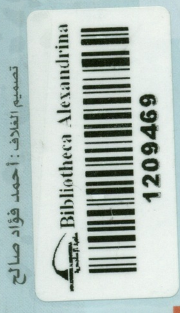
- تُرجمت بعض قصائده إلى لغات عديدة ، ونشرت له مجلة "Iowa Review" مختارات من شعره فى عددها الصادر فى يناير ١٩٩٧ ، وهى مجلة تنشرها جامعة أيوا ، كما نشرت له مجلة "Middle Eastern Literature" التى تصدرها جامعة أكسفورد ديوانه سليمان الملك باللغتين العربية والإنجليزية ترجة وتقديم د. فريال غزول رئيسة قسم الأدب الانجليزى بالجامعة الأمريكية ورئيسة تحرير مجلة ألف فى عددها الصادر فى يناير ٢٠٠٦
- احتفت بشعره الحركة النقدية فكتب عنه النقاد من كل الأجيال مقالات – دراسات – فصول من كتب وكتب كاملة
- فاز بجائزة كفافى عام ١٩٩٥ وبدرجة الزمالة الفخرية من جامعة أيوا فى العام نفسه.

المحتوى

شركة الأمل للطباعة والنشر
(موريافيتلى سابقاً)
ت: 23904096 - 23952496

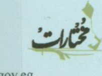
يحتاج المبدع، من حين لآخر، وبعد رحلة طويلة مع الكلمة لأن يصطفى بعضاً من إبداعاته الشعرية أو القصصية ليقدمها لقرائه حتى يتسنى لهم الإلمام بتجربته الإبداعية في صورتها الكاملة.

لذا كانت هذه السلسلة "مختارات" للقيام بهذا الدور، وهى تحاول جاهدة تقديم أجمل النصوص لأهم مبدعينا المصريين الموجودين على الساحة.



تصميم الغلاف: أحمد فؤاد صالح





www.gocp.gov.eg